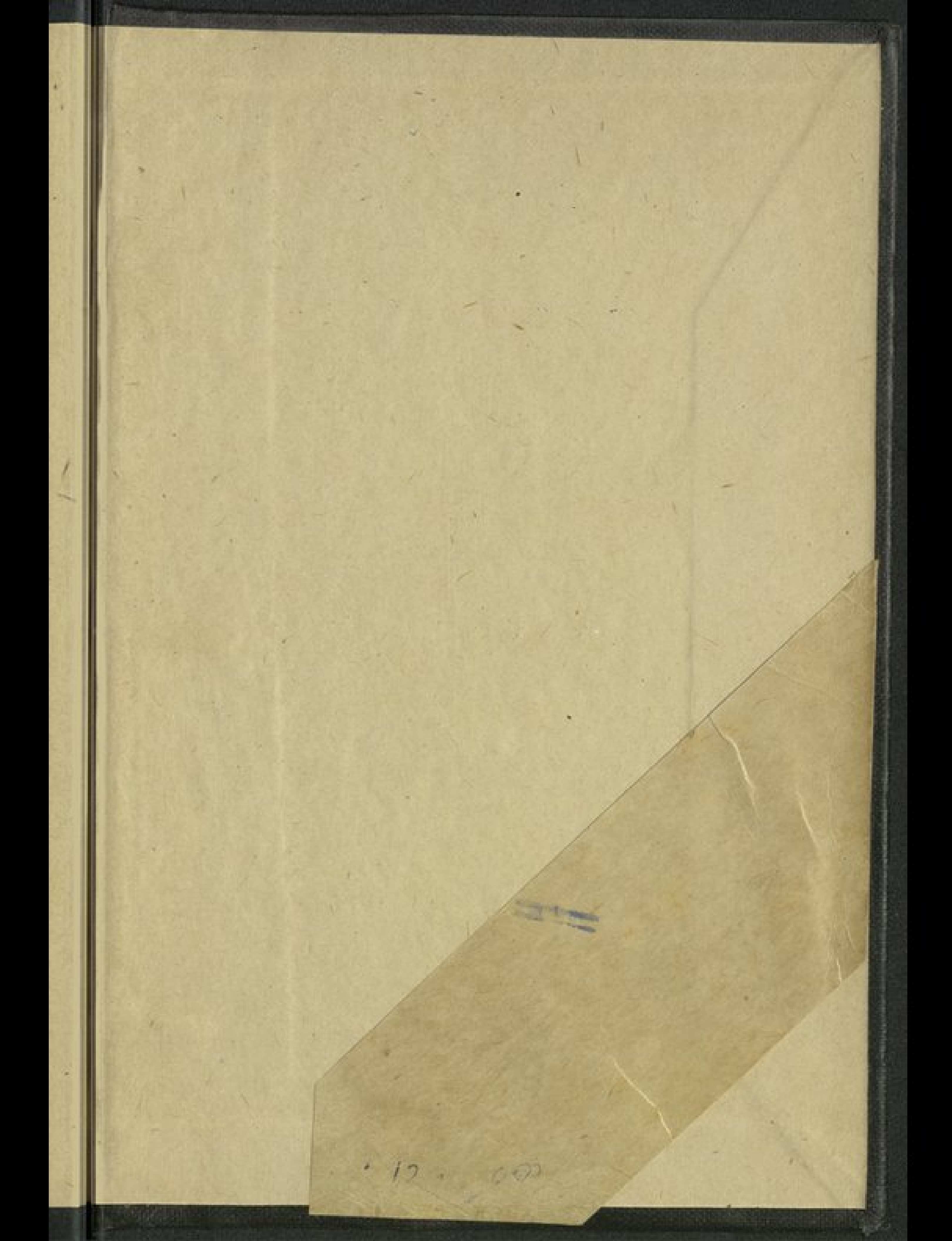
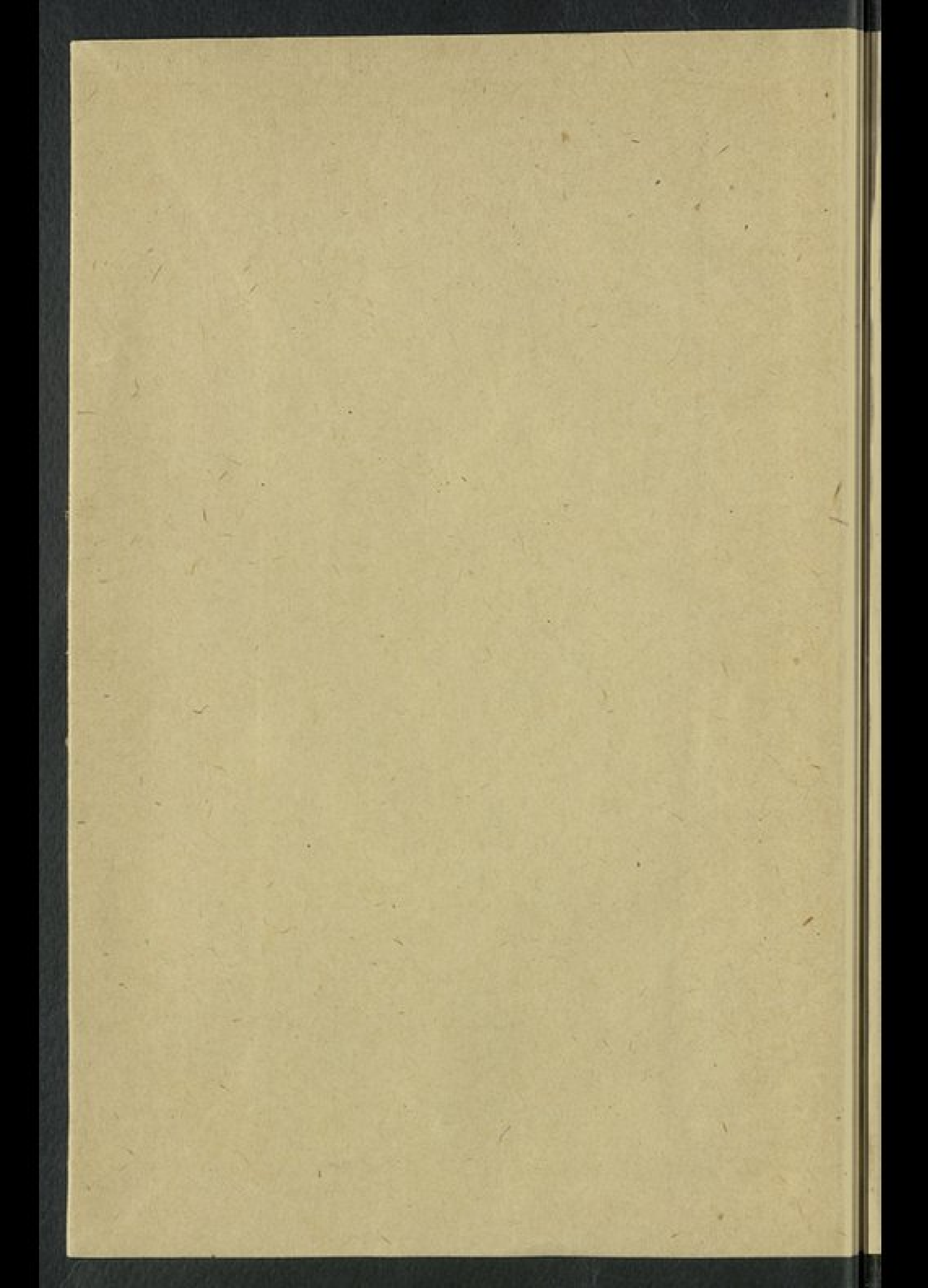
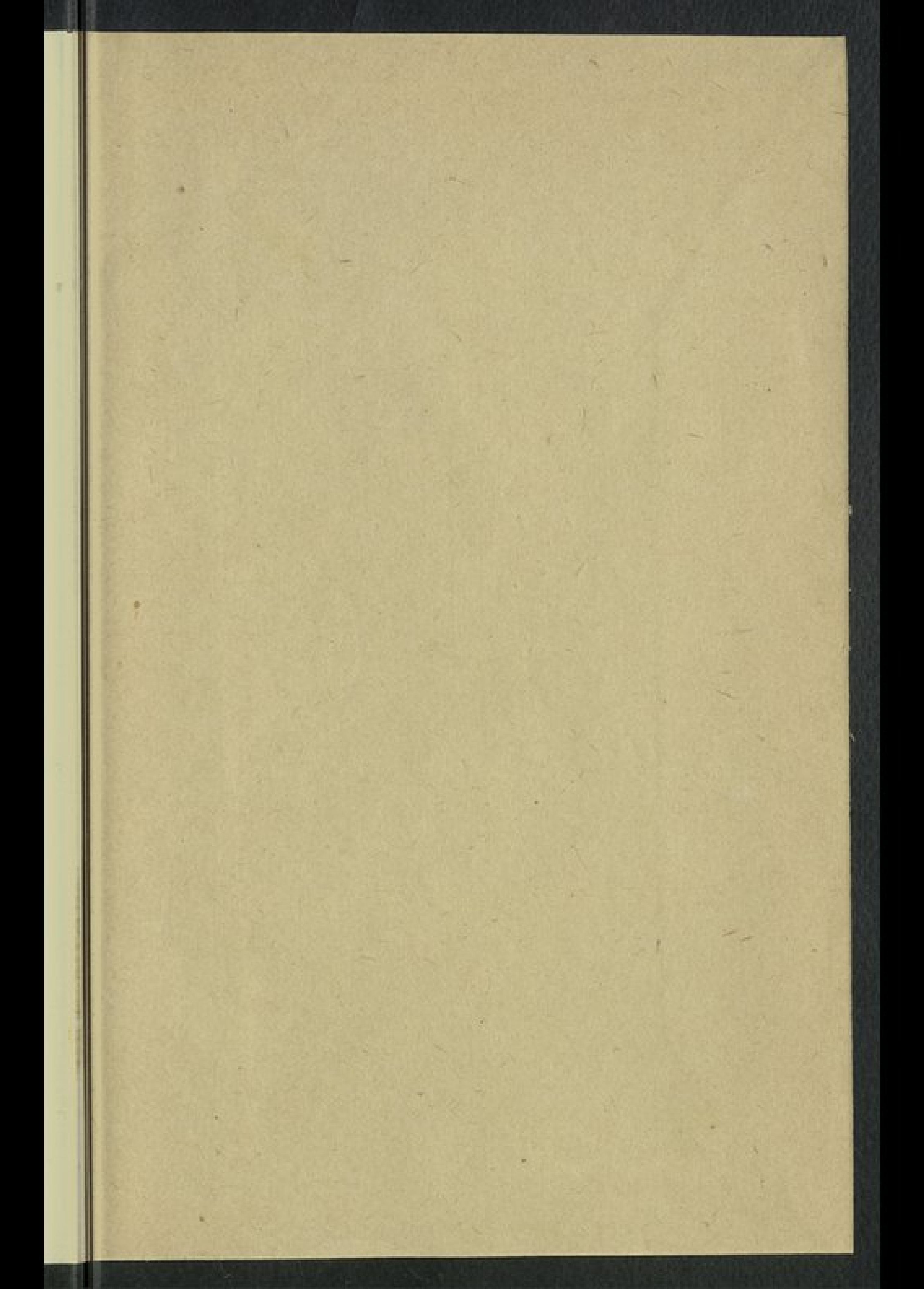
نذر یغتاج

خیر اللہ







كتاب

البيان الصراح

عن

نذر يفتاح

بقلم

امين ظاهر خيرالله

طبع بالمطبعة البطريركية الارثوذكسية في دمشق الشام سنة ١٩١٣

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

توطئة

اذا كانت نفائس الجواهر تستقرُّ في اعماق البحار الزواخر • والعيون العذبة المروية الأُوام تتخذ مصادرها في روُوس الآكام • والافياء الوافرة الظلال تنشر اعلامها في منعطفات الوهاد والجبال • والنسائم الشذية المباسم اللطيفة القوادم تسير سربها في الرياض الناضرة عَلَى أَلحان تمايل الغصون الزاهرة متهللة بنفحات الازاهير العاطرة • فان الحكمة الحقيقية قد وجدت بيتها في حِمى الكتاب المقدس وحي الله الوارد عَلَى افواه صفوة مختاريهِ الابرار وهو «مفيد للتعليم وللحجاج وللتقويم وللتهذيب بالبر» (١) ومتى ادركت هذه المطالب حقَّ الادراك واتبعت تمام لاتباع تزدان السيرة بما يرضي الله وينيل الاحدوثة الحسنة فيما بين الناس «وبها ايضاً. يكون رجلُ الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح» (٢)

١ = ما يوجد في الكتاب المقدس

فمن يقبل عَلَى مطالعة الكتاب المقدس يجد في بحره انواع الدُّرر واللآلىء الجمة في اكاليل للروُوس وفي عقود للاعناق فالأُولى تكسب حياة الكرامة والثانية تمنح راحة الضمير • وهما كلتاهما تهبان الذكر الجميل الذي هو خير من الغنى الجزيل • وكل درر تلك الاكاليل حول جوهرة الايمان القويم

---

(١) ٢ تيم ٣ : ١٦ (٢) ٢ تيم ٣ : ١٧

وكل لآلىء تلك العقود تحيط بفريدة الاعمال الصالحة التي فيها يظهر نور الايمان غاية الظهور وكما يقتبس القمر والكواكب والنجوم انوارها من الشمس نجد كل نور يظهر في الاكاليل ولآلىء العقود مكتسباً من سناء الايمان القويم فبهذا يتهلل المطالع ويرتوي فؤاده من ينابيع التعاليم الخلاصية بمياه راحة الضمير المنعشة التي تقتنع بها النفس الاقتناع المفعم سروراً و يظل في ظلال التقويم الرباني مستأنساً بالسيرة الحسنة مستنشقاً من مهابِ المآتي المبرورة ما هو اطيب نشراً من نفحات الازهار وادعى الى الغبطة من نغمات الاوتار

٢ خفاء بعض محاسن الكتاب المقدس

علَى ان درر الكتاب المقدس قد يخفى الكثير من حسنها الباهر فتظهر للعين الغير البصيرة انها من الخرز لا من الجواهر وفي ذلك غضٌّ من كرامتها العظيمة ومكانتها الكريمة لاتجهله النفوس الحكيمة

فمثل الكثير من معاني الكتاب التي تستغلق مبانيها علَى ضعاف الالباب ويقوم بين قصور مداركهم وسمو مغازيها حجاب مثل ابعد النجوم السماوية عنا يظهر لنا حجمه صغيراً ونوره ضئيلاً وهو لدى التحقيق العلمي اعظم حجماً واوفر سناء من النجوم الدانية وخدمة تلك الدرر باخراجها من اصداف الخفاء وابرازها مصقولة لتترصع بها تيجان العقول تهب اجراً وحسن الذكرى فلمثل ذلك يعمل العاملون

٣ = حادثة نذر يفتاح

ومن مرويات الكتاب الكريم الجديرة بكل تبجيل وتكريم حادثة يفتاح في نذره ابنتهُ ذات الصلاح ان تقف حياتها لله تعالى بعيشة التبتل متجندة

لاعمال البر عانية بشؤون اولاد العبرانيين المنذورين ان يقضوا اقساطاً من حياتهم لدى خيمة الاجتماع كما نذرت حنة امرأة القانة ابن بروحام الافرائيمي الموطن (١ مل ١ : ١) من سلالة لاوي (١ اي ٦ : ٣٤-٣٩) ابنها صموئيل النبي العظيم فكانت حادثة تلك العذراء كريمة يفتاح خير وسيلة لتعليم فضيلة التجرد عن الحياة الخصوصية للانقطاع الى خدمة الحياة العمومية اعني خدمة الشعب لتنسكب الروح الطاهرة في قلوب العدد العديد فتثمر بهم روح الايمان القويم خير إثمار مجيد . فربة الحياة الخصوصية انما يكون تاثيرها ضيق النطاق بالنسبة الى ربة الحياة العمومية ولكل منهما الثواب علَى قدر الايمان الكامل بالأتعاب لأن « نجماً يمتاز عن نجم في المجد » (١ كو ١٥ : ٤١) والحكمة كل الحكمة في انتقاء النصيب الافضل فانه هو موضوع الجهاد واياه ملتمس العباد من رب العباد

٦ – تحويل الكلام عن وجهه الحقيقي في هذه القضية

لكن عدوّ البشر الذي ما برح ناشراً سجوف الاوهام ومتخذاً زيّ ملاك النور وهو ملاك الظلام نسج من سوء النية غطاء نشره فحوَّل صباح ذلك المثال مساء وبدلاً من ان يكون باعث التأثير كريم بات بتحول معناه مولد التأثير الذميم . فاستخرتُ الله في ازالة ذلك الحجاب الحائل دون اشعة شمس الحقيقة كالضباب حتى يزول الديجور ويتبلج النور حضاً علَى اقتناء الذكر المبرور واختيار العمل المشكور وهو اغاثة المحتاج واعالة الفقير وتربية اليتيم وتمريض السقيم وتعليم الاطفال مخافة الرب المتعال فان وقف الحياة علَى هذا المبارّ هو الاثر الخالد علَى مدى الادهار واجره لدى الله الانضمام الى مصف الابرار

حيث تتألق بهم الاخدار المنيرة في الملكوت اكرم بها من اخدار . وليُعلَم انه لخدمة هذه المطالب وُجِد التبتل من قديم الاعصار

وجلاء الكلام عَلَى نذر يفتاح يتطلب ايراد ما جاء عنه في سفر القضاة القانوني لأن في مساق الكلام ادلة عديدة على منحاه المنشور لاجل التحبيب بهِ و بذل النفس في طلبه وهذا نص الكتاب المقدَّس

٥ نص الكتاب المقدس عن هذه القضية

(١) وكان يفتاح الجلعادي جبار بأس وهو ابن امرأة بغيٍّ ولدته لجلعاد (٢) ثم ولدت لجلعاد زوجته بنين فلما كبر بنو زوجته طردوا يفتاح وقالوا له ليس لك ميراث في بيت ابينا لانك ابن امرأة غريبة (٣) فهرب يفتاح من وجه اخوتهِ واقام في ارض طوب فاجتمع اليه بطالون وكانوا يخرجون معهُ (٤) وكان بعد ايام ان بني عمون حاربوا اسرائيل (٥) فلما حارب بنو عمون اسرائيل انطلق شيوخ جلعاد ليأتوا بيفتاح من ارض طوب (٦) وقالوا ليفتاح تعالَ وكن لنا قائداً فنحارب بني عمون (٧) فقال يفتاح لشيوخ جلعاد الم يكن انكم ابغضتموني انتم وطردتموني من بيت ابي فكيف اتيتموني الآن في شدتكم (٨) فقال شيوخ جلعاد ليفتاح لهذا جئناك نحن الآن حتى تسير معنا وتحارب بني عمون وتكون رئيساً علينا وعَلَى جميع سكان جلعاد (٩) فقال يفتاح لشيوخ جلعاد اذا ارجعتموني لمحاربة بني عمون فدفعهم الرب اليَّ اكون رئيساً عليكم (١٠) فقال شيوخ جلعاد ليفتاح ليكن الرب سامعاً بيننا ان كنا لا نفعل كما تقول (١١) فمضى يفتاح مع شيوخ جلعاد فأقامه الشعب عليهم رئيساً وقائداً . فتكلم يفتاح بكل كلامهِ امام الرب في المصفاة (١٢) وانفذ يفتاح رسلاً

الى ملك بني عمون قائلاً مالي ولك انك جئتني للحرب في ارضي (١٣) فقال ملك بني عمون لرسل يفتاح لان اسرائيل حين صعدوا من مصر اخذوا ارضي من ارنون الى اليبوق والاردن فردوها الآن بسلام (١٤) فعاد يفتاح ايضاً وانفذ رسلاً الى ملك بني عمون وقال له (١٥) هكذا يقول يفتاح ان اسرائيل لم يأخذوا ارض موآب ولا ارض بني عمون (١٦) لانهم حين صعدوا من مصر ساروا في البرية الى بحر القلزم وافضوا الى قادش (١٧) فأنفذ اسرائيل رسلاً الى ملك ادوم يقولون دعنا نعبر في ارضك فلم يرضَ ملك ادوم فارسلوا الى ملك موآب ايضاً فلم يرضَ فاقام اسرائيل في قادش (١٨) ثم ساروا في البرية وداروا حول ارض آدوم وارض موآب واتوا ارض موآب من جهة الشرق ونزلوا على عدوة ارنون ولم يدخلوا تخم موآب فان أرنون هي تخم موآب (١٩) ثم وجه اسرائيل رسلاً الى سيحون ملك الاموريين ملك حشبون وقالوا له دعنا نعبر في ارضك الى موضعنا (٢٠) فلم يأمن سيحون اسرائيل ويدعهم يعبرون في تخمه وجمع سيحون جميع شعبه ونزلوا ياهص وحاربوا اسرائيل (٢١) فدفع الرب اله اسرائيل سيحون وكل شعبه الى ايدي اسرائيل فضربوهم وامتلك اسرائيل كل ارض الامويين سكان تلك الارض (٢٢) وامتلكوا جميع تخوم الاموريين من أرنون الى اليبوق ومن البرية الى الاردن (٢٣) والآن فان الرب اله اسرائيل قد طرد الاموريين من وجه شعبه اسرائيل أفأنت تمتلكهم (٢٤) اليس ان ما يملكك اياه كموش الهك اياه تملك وجميع الذين طردهم الرب الهنا من أمامنا اياهم نملك (٢٥) لعلك خير من بالاق ابن صفور ملك موآب فهل خاصم بني اسرائيل او اثار عليهم حرباً (٢٦) وعندما

اقام بنو اسرائيل في حشبون وتوابعها وعروعير وتوابعها وجميع المدن التي عند ارنون مدة ثلاث مئة سنة لماذا لم تسترجعوها في تلك المدة (٢٧) اني لم اسئ اليك وانما انت تناصبني الشر بمحاربتك لي فليقض اليوم الرب الديان بين بني اسرائيل وبني عمون (٢٨) فلم يسمع ملك بني عمون لكلام يفتاح الذي ارسل به اليهِ (٢٩) وكان روح الرب على يفتاح فعبر جلعاد ومنسى وجاز الى مصفاة جلعاد ومن مصفاة جلعاد عبر الى بني عمون (٣٠) ونذر يفتاح نذراً للرب وقال ان دفعت بني عمون الى يدي (٣١) فكل خارج يخرج من باب بيتي للقائي حين ايابي سالماً من عند بني عمون يكون للرب اصعده محرقة (٣٢) وجاز يفتاح الى بني عمون ليحاربهم فسلمهم الرب الى يده (٣٣) فضربهم من عروعير الى حد منيت عشرين مدينة والى آبل الكروم ضربة عظيمة جداً فذلَّ بنو عمون امام بني اسرائيل (٣٤) وعاد يفتاح الى المصفاة الى بيتهِ فاذا ابنته خارجة للقائهِ بالدفوف والرقص وهي وحيدة لهُ لم يكن له ابن او ابنة سواها (٣٥) فلما رآها مزَّق ثيابه وقال اوه يا بنية قد صرعتني وصرت من جملة من اشقاني لاني ابرزتُ نذري للرب ولا سبيل الى نكثه (٣٦) فقالت له يا أبتِ ان كنتَ قد ابرزت نذرك للرب فاصنع بي بحسب ما خرج من فيك بعد ما انتقم لك الرب من اعدائك بني عمون (٣٧) ثم قالت لابيها ليصنع معي هذا الامر امهلني شهرين فانطلق واتردَّد في الجبال وابكي بتوليتي انا واترابي (٣٨) فقال اذهبي وفسح لها شهرين فانطلقت هي واترابها وبكت بتوليتها على الجبال (٣٩) وكان عند نهاية الشهرين انها رجعت الى ابيها فأتمَّ بها النذر الذي نذره وهي لم تعرف رجلاً . فصار رسماً بين بني

اسرائيل (٤٠) انها في كل حول تمضي بنات اسرائيل وينحن عَلَى ابنة يفتاح الجلعادي اربعة ايا في السنة » انتهى الفصل

٦ – مستندات القائلين بان يفتاح فتك بحياة ابنته و تفنيدها

فالذي يطالع هذا الفصل بعين كليلة عن روءية الحقيقة يتراءى له ان يفتاح فتك بابنته فذبحها عَلَى مذبح خيمة الاجتماع كمحرقة للرب وقد صدر هذا البيان من امثال موءلف كتاب قاموس الكتاب المقدس وذكر لتأييد زعمه هذا خمسة مستندات (١)

فلافادة المطالع ندرج هذه المستندات الخمسة ونتعقب كل واحد منها بكشف الغطاء عن شأنه جلاء للحق ودفعاً للتمويه

٧ – المستند الاول وتفنيده

[المستند الاول] ان نذر البتولية لم يكن من عوائد العبرانيين ولم تعد البتولية عندهم فضيلة مرضية عند الله بل كان نذرها يخالف روح ديانتهم بقدر النذر بتقديم ذبائح من بني آدم . وكان عدم الزيجة مصيبة عَلَى العذارى (مز ٧٨ : ٦٣) كعدم وجود الاولاد للمتزوجين (٢ صم ٦ : ٢٣)

فنجيب عَلَى هذا الاعتراض بعد تقسيمه الى خمس فقرات

(الفقرة الاولى) ان نذر البتولية لم يكن من عوائد العبرانيين . والجواب انه لم يكن فرضاً عليهم ولكنه لم يكن اثماً بدليل ان ايليا عالته ارملة من صرفة صيدون ثلاث سنوات (١ مل ١٧ : ٩ و١٨ : ١١) ولو كان متزوجاً لعالته امرأتهُ بل لسألت عنهُ حينما أصعد في المركبة النارية . وكذلك كان اليشع بتولاً واهتمت بحاجاتهِ امرأة متزوجة من شونم (٤ مل ٤ : ٨) ولو كان متزوجاً

(١) صفحة ٥٢٢ من الجزء الثاني

لما اقتضى ان تعتني بهِ امرأة غريبة

(الفقرة الثانية) ولم تعد البتولية عندهم فضيلة مرضية عند الله · والجواب ان نص الاعتراض يدل على فساد مايدعيه صاحبه لأن ما لايعد فضيلة منه ما هو محلل ومنه ما هو محرَّم · ولنضرب له مثلاً ان أكل الفاكهة لا يعد فضيلة ولكنه غير محرَّم · والبتولية قد جاء عنها في سفر الحكمة هكذا « ان البتولية مع الفضيلة اجمل فانَّ معها ذكراً خالداً لانها تبقى معلومة عند الله والناس » (٣ : ١)

ولا يرد علَى استشهادي هذا اعتراض بان من أنقض مقاله فئة تنكر علَى كتب التلاوة منزلتها وتعدها كتباً مزورة فان الكلام دائر علَى ما كان منظوراً اليه كقسطاس للسير بموجبه وقد كانت كتب التلاوة حائزة عند الامة اليهودية منزلة تضارع منزلة الكتب القانونية من حيث دراستها والعمل بها ودليل ذلك ما جاء في رواية بزوغ النور علَى ابن حور وهو « المثالة الاولى التي تعلمتها في مدرسة المجمع هي الشومع اي اسمع يا اسرائيل الرب الهك رب واحد والثانية قول يشوع ابن سيراخ اكرم اباك بكل نفسك ولا تنس احزان امك » صفحة ٢١٢ من طبعة سنة ١٨٩٦ فان في هذا برهاناً علَى ان مدرسة المجمع كانت تدرس كتب التلاوة مع الكتب القانونية في وقت واحد

(الفقرة الثالثة) بل كان نذرها يخالف روح ديانتهم بقدر تقديم ذبائح من بني آدم · والجواب ان هذا الادعاء خالٍ من المستند خلواً تاماً وكل ادعاء اسلاند ساقط من تلقاء نفسه

ثم ان الامر الالهي بمنع تقديم الذبائح من بني آدم متكرر في التوراة مراراً

وذلك التقديم معدود خطيئة مميتة يتناول الاقتصاص عليها مرتكبها وكل من واطأه عليها · واما نذر البتولية فليس بخطيئة بدليل تبتل ايليا واليشع وبدليل وجود فرقة كبيرة من اليهود تُدعى فرقة الاسينيين كان الزواج (علَى قول مؤلف مرشد الطالبين في بيان فرق اليهود) يمنعونه غالباً · والحقيقة انهم كانوا يمنعونه علَى الاطلاق لأن امر المنع لايقع تغليباً بل اما انه يقع او لا يقع

ولا يقال ان هذه الفرقة كانت في عصر لايقتدى به او ينكر علَى رجالها مكانهم من صميم جسم الامة العبرانية فيذكر انهم منبوذون كالسامريين فان الدليل ثابت علَى ان هذه الفرقة كانت في عهد المسيح ذات شأن وكان يمثلها في المجمع الاعلى للامة اليهودية اعضاء كما روى ذلك المستر ليو ولص في روايته بزوغ النور علَى ابن حور التي ذكر فيها علَى وجه الرواية تاريخ عصر المخلص له المجد وقد ترجم هذه الرواية الدكتور كرنيليوس فان ديك فذكر في عداد اعضاء المجمع الاعلى (السنهدريم او الساندرين) « شرفاء الصدوقيين والفريسيين والفلاسفة الرواقيين الهادين اللطفاء من طائفة الآسينيين »

(في الصفحة الـ ٦١ من طبعة سنة ١٨٩٦) فلو لم تكن تلك الفرقة من صميم امة اليهود لرفضها ارباب الفرق الاخرى وجود ممثليها في مجموعهم كما كانوا يرفضون السامريين · بل كان ارتكاب الاسينيين امراً يضاهي تقديم ابنائهم ضحايا للاوثان يجعل بغضاءهم أشدَّ لأنه ورد في سفر الاحبار اللاويين هكذا « ان تغاضى اهل الارض عن ذلك الانسان في اعطائه من نسله لمولك فلم يقتلوه جعلتُ وجهي ضد ذلك الانسان وضد عشيرته وقطعته من بين شعبه هو وجميع من واطأه علَى فجوره في اتباع مولك » أح ٢٠: ١—

١٦) على ان المسترليو ولص يمتدحهم فيدعوهم « الفلاسفة الزواقيين » اشارة الى عفافهم ونزاهتهم واصالة ارائهم ويشهد انهم هادون لطفاء فالقول ان نذر البتولية يخالف روح الديانة العبرانية بقدر تقديم ذبائح من بني آدم قول لا مستند فيه بل المستند على كونه غير صحيح لاريب فيه

(الفقرة الرابعة) وكان عدم الزيجة مصيبة على العذارى (مز ٧٨ : ٦٣)

اقول ان الشاهد الذي يذكرهُ في هذه الفقرة لا يشهد بصدق زعم المعترض ونصهُ في الترجمة البروتستانية هكذا « مختاروه اكلتهم النار وعذاراهُ لم يحمدن » وفي الترجمة اليسوعية هكذا « اكلت النار فتيانهم وعذاراهُ لم تولول » فالمفاد بحسب ما ورد في الترجمة البروتستانية ان تلك العذارى اسأن التصرف وبحسب ما ورد في الترجمة اليسوعية ان قلوبهن قاسية . ولا يتجه منه شيء الى عدم زيجتهن فادعاؤُهُ والحالة هذه ساقط لأنه بلا مستند بل ذكره هذا الاستناد المغلوط يدل على احد امرين الاول عدم فهم معاني الكتاب المقدس ومن هذا شأنه فأولى به ان يتعلم قبل ان يتصدر للتعليم والثاني استخدامه المغالطة عمداً في مقامات الكتاب المقدس وبئس العمل

(الفقرة الخامسة وكان عدم الزيجة مصيبة على العذارى (مز ٧٨ : ٦٣) كعدم وجود الاولاد للمتزوجين (٢ صم ٦ : ٢٣)

اقول ان الشاهد الثاني قد ساوى الشاهد الاول في انه لا يتضمن شيئاً مما جيء به شاهداً ونصه في الترجمة البروتستانية هكذا

« ولم يكن لميكال بنت شاوول ولد الى يوم موتها » وفي الترجمة اليسوعية « ولم تلد ميكال ابنة شاوول ولداً الى يوم ماتت » فاين الاشارة الى

الى المصيبة التي يزعمها

على ان اليهود الذين كانوا يجلون شان أسفار التلاوة و يطبقون شؤونهم عليها يعرفون المعرفة الاكيدة ما جاء في سفر الحكمة وهو « اما العاقر التي لم تعرف المضجع الفاحش فطوبى لها انها ستحوز ثمرتها في افتقاد النفوس » (٣ : ١٣) وهذا الشاهد ينفي ولا ريب ما يذكره المعترض او في نفي وفيه ايضاً لمن لم يرزقوا بنين تعزية كبرى يظهر فيها روح الله المعزي بابهى مظاهره

فمرويات هذا المستند لا يثبت منها شيء على محك التحقيق الا انها توضح مقدار علم منشئها وتقواه وغايته الحميدة التي هي الحط من كرامة أصفياء الله لانهم أصفياء الله واستقامة منهجه حتى اتخذ المغالطة في اثر المغالطة كقاعدة يبني عليها الاحكام وينير بضيائها الافهام

٨ — المستند الثاني وتفنيده

[المستند الثاني] ان يفتاح كان انساناً لا يقتدى به في عصر لا يقتدي به . والجواب على هذا الادعاء يقتضي الاطلاع على مكانة يفتاح في قومه وتاريخ عصره واعتباره في نظر رجال الله الملهمين بروحه القدوس

فيفتاح قد تسلم السيطرة على قومه قبل مخابرته ملك بني عمون كما ورد النص هكذا « فمضى يفتاح مع شيوخ جلعاد فاقامه الشعب عليهم رئيساً وقائداً . فتكلم يفتاح بكل كلامه امام الرب في المصفاة وانفذ يفتاح رسلاً الى ملك بني عمون » ومن المعلوم ان القاضي يكون مطلعاً على شريعة الامة اطلاعاً كافياً ليستطيع ان يجري في كل دعوى بمقتضى ما وضع لها من الاحكام . وكان يفتاح واسع الاطلاع على احكام شريعة امته وعلى تاريخها

وعَلَى لهجات الاسرائيليين ايضاً بدليل انه ادرج في مراسلاته لبني عمون باوجز عبارة وابينها كيفية خروج بني اسرائيل من مصر حتى حلولهم في انصبتهم من الاماكن وهذا شاهد عَلَى تضلعه التاريخي ولا يخفى ان الشريعة الموسوية ترتبت في خلال تلك المدة · وبدليل تمييزه بين لهجتي سبطي منسى وافرائيم ولدي يوسف الصديق ابن اسرائيل في كلمة سبولت (انظر قض ١٢ : ٧) ومن كان وافي الاطلاع في تاريخ قومه ودقيق النظر في آداب لغته وهما من الكماليات في النظر الديني والمنصب الرئيسي الذي وليه فبالأولى انه يكون كامل الاطلاع عَلَى سنن ديانته التي هي قوام التدين الذي شدّده في مهمته ولباب المنصب الذى ارتفع به شأنه ولاسيما ان الله انتقاه ليسحق اعداءه ويرسخ شعبه عَلَى يده في الايمان الصحيح

ثم ان يفتاح في سنة ١١٤٣ ق:م) كما ورد في الهوامش الموضوعة عَلَى النسخة الاميركية المشوهدة) سنة محاربته بني عمون ونذره ابنته كان رجلاً كامل الرجولية له ابنة بلغت سنّ الادراك وقضى لاسرائيل (كله لا لبني منسى فقط) ست سنواتٍ (قض ١٢ : ٧) ومات سنة ١١٣٧ (ق:م) فكان معاصراً لرجلين من اعظم رجال العهد القديم وهما الاول عالي الكاهن الذي مات سنة ١١٤١ (ق : م) بعدما قضى اربعين سنة لاسرائيل (١ مل ٤ : ١٨) اوعشرين سنة كما قرىء في بعض النسخ العبرانية وفي النسخة السبعينية فكانت تلك المدة من سنة ١١٨١ ق:م اومن سنة ١١٦١ ق:م فكان قبل عهد يفتاح ومعه · والثاني صموئيل النبي المولود سنة ١١٧١ ق : م فانه كان في سنة ١١٤٣ق : م في الثامنة والعشرين من

سنيه فلا شك ان رئاسة عالي الروحية كانت ممتدة عَلَى رئاسة يفتاح السياسية وبالتالي كان يفتاح ليس المرجع في فرائض دين الاسرائيليين ولا الذي تتم النذور عَلَى يدهِ

فلو كان يفتاح قد ارتكب تلك الهفوة لكان لا يقتدى بهِ ولو كان قدوة صالحة لما ارتكب تلك الهفوة لان هذين الامرين متناقضان المتناقضان لا يرتفعان معاً ولا يوجدان معاً فمتى ثبت احدهما انتفى الآخر حتماً

عَلَى ان يفتاح كان قدوة في العهدين القديم والجديد كما نطق الروح القدس بفم صموئيل النبي و بفم بولس الرسول واليك ما قالا

قول النبي صموئيل

ان صموئيل لما طلب الشعب الاسرائيلي منه ان يقيم عليه ملكاً اختار بمشيئة الله شاوول ثم انه لما اجتمع الشعب الاسرائيلي في الجلجال بعد تمليكه شاوول الذي انقذ اهل يابيش جلعاد وقف (اي صموئيل) فحاكمهم امام الرب بجميع حقوق الرب التي صنعها معهم ومع آبائهم فقال

« لما جاء يعقوب الى مصر وصرخ آباؤكم الى الرب ارسل الربُّ موسى وهارون فاخرجا آباءكم من مصر واسكنهم في هذا المكان · فلما نسوا الرب باعهم ليد سيسيرا رئيس جيش حاصور وليد الفلسطينيين وليد ملك موآب فحاربوهم · فصرخوا الى الرب وقالوا اخطأنا لاننا تركنا الرب وعبدنا البعليم والعشتاروت فالآن انقذنا من يد اعدائنا فنعبدك فارسل الربُّ يربعل وبدان (وفي النسخة السبعينية باراق) و يفتاح وصموئيل وانقذكم من يد اعدائكم الذين

حولكم فسكنتم امنين» (١ صم ١٢ : ٧ — ١٢)

فنجد صموئيل قد لخص تاريخ الاسرائيليين منذ عهد الخروج الى ذلك الحين وذكر افضل رجال الله في تلك العصور كلها فكانوا موسى وهارون وجدعون وباراق ويفتاح وصموئيل فمن هو برتبة موسى وهارون الا يكون قدوة · ومن يختاره الروح القدس بفم نبيه صموئيل من بين مختاريه العديدين في اجيال عديدة كمثال صالح هل يجوز لمسيحي حقيقي ان يقول انه لا يقتدى به · اضف على ذلك ان صموئيل معاصره واعرف من سواه به فشهادته شهادة خبير

قول الرسول بولس

والرسول بولس المشهود له بالاطلاع على التاريخ الاسرائيلي وبان روح الله فيه يقول هكذا « وماذا اقول ايضاً انه يضيق بي الوقت ان اخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والانبياء » (عب ١١ : ٣٢) فمن يضعه الروح القدس قدوة بشهادتي النبي صموئيل والرسول بولس لا يستطيع المؤلف الملهم من قبل نفسه ان ينزله عن تلك المنصة الجليلة

ثم ان في ترتيب الرسول اسماء اولئك الرجال الاطهار ما يدعو العاقل الى التبصر والتنقيب فان خبر شمشون سطر بعد خبر يفتاح لانه جاء بعده وسيرة صموئيل أدرجت قبل سيرة داود لانه جاء قبله · والرسول قدم ذكر شمشون على ذكر يفتاح واورد ذكر صموئيل بعد ذكر داوود حتى وضع يفتاح عن يمين داوود الذي له من مواعيد الله ما ليس لسواه فدعي المسيح ابن الله

بابن داوود وبالتالي يكون عمل الرسول بولس تم بسابق علم الله لتكريم يفتاح واذا تخطى البحث الى باعث هذا التكريم الخصوصي لوجدناه منحصراً في تقديمه ابنته فاذن عمله مبرور مشكور لا معيب مشجوب وكفى بذلك قرينة جلية على انه قدمها عذراء لخدمة اعمال البر في خيمة الاجتماع لا ذبيحة كالشاة

واما القول بان عصر يفتاح لا يقتدى بهِ فمرفوض بدليل ما على هامش النسخة البروتستانية ذات الشهود من تعيين ازمنة اولئك الرجال الاصفياء فانها توضح كما قدمنا ان يفتاح كان معاصراً لعالي وصموئيل فلم يكن تتميم النذر على يد يفتاح بل على يد عالي او باذنه · وعالي المشهود لهُ بمعرفة شريعة الله لا يرتكب موبقة شائنة وانما يتمم عمل فضيلة مجيدة هي تكريس حياة نقية لخدمة طاهرة

المستند الثالث وتفنيده

(المستند الثالث) حزن يفتاح يدلُّ على صحة التفسير الاعتيادي الواضح اي انه قدمها محرقة · والجواب ان هذا الاستناد لم يبنَ على نصٍ بل هو قائم على اعتبار شخصي والاعتبار الشخصي لا تبنى عليه التسليمات الهامة الروحية فضلاً عن ان هذا الاعتبار يختلف باختلاف الافكار والذي تدلُّ القرائن عليه هو ان يفتاح حينما رأى نذرهُ ان يبقى الخارج من بيتهِ بتولاً ملء حياتهِ وقع على ابنته وكانت وحيدته تأثر لانقطاع ذرّيتهِ فاحزنه ذلك لانقطاع رجائه من ان تكون سلالته منتظمة في مملكة شيلوه المتفرع من سبط يهوذا الذي له يكون خضوع شعوب (تك ٤٩ : ١٠) فقد كانت كنيسة العهد العتيق تؤمن بان احسان الآباء يعود منه على البنين كما قال الرب في

الوصايا العشر « انا الرب الرب الملك اله غيور افتقد ذنوب الآباء في البنين الى الجيل الثالث من مبغضيّ واصنع رحمة الى الوف من محبيّ وحافظي وصاياي »(خر ٢ : ٥ و٦)وكذلك احسان البنين يعود منه على الآباء وهذا من مبدإ الشفاعة الموجود في العهدين العتيق والجديد · فعلى فقده ذلك الرجاء الطاهر حزن يفتاح

١٠ — المستند الرابع وتفنيده

[المستند الرابع] كانت ابنة يفتاح عذراء قبل نذره « وهي لم تعرف رجلاً » (قض ١١ : ٣٩) فلو فرضنا ان حزنها كان فقط على استمرار هذه الحالة لما كفاها شهران في الجبال مع صاحباتها بل كان يقال انها ندبت سوء حظها طول حياتها · والجواب انه اذا كان بقاؤها عذراء يقتضي ان لا تكتفي بمدة شهرين للبكاء فبالاولى ان هذه المدة لا تكفي للبكاء على ذهاب حياتها الا ان يكون فقد الزيجة اصعب على ذلك المعترض من فقد الحياة · ولكن من المسلم به ان الزيجة بعض مبهجات العالم والقول بانها تفضل العالم قول مجازفة

ثم ما هي الغاية من الطواف في رؤوس الجبال اهي تذراف المدامع وسحق الفؤاد بالتأثرات او نظر احزان الآخرين التي توضح متاعب الحياة وتظهر صور شقائها ·

ان الطواف في الجبال ليس فيه شيء من ذلك فهو يكسب بنسماته العليلة ومناظره الجميلة ومياهه العذبة الموارد وبالحان بلابله الصوادح بهجة جديدة وصحة متجددة فتنثني الاحزان وتفيض ينابيع المسرات وتزداد الرغبة في الحياة لان الرغبة في الشيء تعظم حينما يكون ذلك الشيء في اسعد حالاته

فابنة يفتاح ارادت ان تتنعم بما هو طاهر وشهي مدة شهرين ثم تتقدم بعدئذٍ الى الاقامة في حمى خيمة الاجتماع ضمن نطاق حياة خالية من البهجات الزمنية

١١ — المستند الخامس وتفنيده

(المستند الخامس) يظهر انها قد اختفت بعد رجوعها من هذا التطواف وان البنات اخذنَ عادةً من ذلك الوقت ان يذهبنَ كل سنة لينحنها فلوكانت قد عاشت عندئذٍ لترجح ذهابها معهنَّ كل سنة مدة حياتها · اقول ان المعترض شعر من نفسهِ بضعف احتجاجه فاسند الحكم الى الترجيح قائلاً « لترجح » فهو قول لا يُلزم بهِ الخصم · واما الاحتجاج الذي يقام له وزن في المناظرة فهو ما بني على الالزام المحض لا على الترجيح

اما اختفاء ابنة يفتاح الذي زعم انه ناجم عن تضحيتها فله اسباب كلها وجيه عند المنصفين من ذوي التحقيق اولها ان الكتاب المقدس ورد لتبيان حكمة الله وايضاح المناهج التي تنيل رضاه ولتدوين العقائد والاحكام فما يرد فيه من اخبار الناس يأتي عرضاً فتكفي القرينة والكلام الضمني بشأنه ودليلنا ان حياة ابينا آدم وقدرها ٩٣٠ سنة قد انحصر الكلام عنها في فصلين هما الثالث والرابع من سفر التكوين يشاركه فيهما بنوه وابناؤهم والامر واضح انه لو اريد ايفاء البحث عن حياته لاقتضى كتابة سفر ضخم

والثاني ان اختفاءها كان ضرورياً لاتمام نذرها فانه قائم عَلَى الانقطاع عن العالم فكيف يستقيم لها ان تنقطع عن العالم للخدمة المبرورة ضمن مسلك ضيق عُبّر عنه مجازاً باصعادها محرقة وان تكون في الوقت عينه بين العالم تجتني

حياة الابتهاج بالطواف واستماع الاناشيد

واما أخذ البنات الاسرائيليات عادة ان يذهبن في كل حول اربعة ايام بنحن عَلَى بنت يفتاح فانما هو دليل عَلَى بقاء حياتها لا موتها لان التذكارات لا تقام لما يغضب الله ويهدم بناء الترتيبات الناموسية التي يجب اتباعها وانما تقام لما فيه مثال صالح يحسن الاقتداء به فالقرينة من اقامة هذا التذكار تدلّ عَلَى ان نذر يفتاح كان حميداً وكونه حميداً يمنع كونه افضى الى سفك دمها

فتبين مما تقدم ان المستندات التي يراد بها اثبات ذبح يفتاح لابنته اوهاء في اوهام وتعسف في مهاوي الظلام وان الحقيقة عَلَى انها تبتلت لخدمة البر اوضح من البدر التمام · عَلَى انني رغبة في ازالة كل وهم اورد بعض الادلة الصحاح التي تثبت ان النذر من قبل يفتاح كان قائماً عَلَى صرف الحياة في العمل المبرور فاقول

١٢ — البرهان الاول

(اولاً) ان يفتاح كان قاضي اسرائيل فهو ولا شك عارف شريعة موسى الناهية عن تقديم الضحايا من بني آدم كما ورد في سفر الاحبار « لا تعط من نسلك تقدمة لمولك ولا تدنس اسم الهك انا الرب » (١٨ : ٢١) وورد ايضاً هكذا « وكلم الرب موسى قائلاً : قل لبني اسرائيل · اي انسان من اسرائيل او من الغرباء الدخلاء في اسرائيل اعطى من نسله لمولك فليقتل قتلاً يرجمه شعب الارض بالحجارة · وانا اجعل وجهي ضد ذلك الانسان واقطعه من بين شعبه لانه اعطى من نسله لمولك لكي ينجس مقدسي و يدنس

أسمي القدوس . وان تغاضى اهل الارض عن ذلك الانسان في اعطائه من نسله لمولك فلم يقتلوه جعلت وجهي ضد ذلك الانسان وضد عشيرته وقطعته من بين شعبه هو وجميع من واطأه على فجوره في اتباع مولك» (أحبار ٢٠: ١–٦)

وامر أيضاً هكذا « واذا قرض الرب الملك من امام وجهك الامم الذين انت صائر لترثهم فورثتهم وسكنت في ارضهم فاحذر لنفسك ان توهق باتباعك لهم بعد فنائهم من بين يديك وان تلتمس آلهتهم قائلاً كما كانت تلك الامم تعبد الهتها فانا أيضاً افعل هكذا لاتصنع كذلك نحو الرب الملك فانهم قد صنعوا كل النجاسات التي يكرهها الرب حتى احرقوا بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم . بجميع ما انا آمركم به تحرصون ان تعملوا لا تزيدوا عليه ولا تنقصوا منهُ » (تث ١٢: ٢٩ – ٣٢)

وامر ايضاً هكذا . اذا اتيت الارض التي يعطيكها الربُّ الملك فلا تتعلم ان تصنع مثل رجاسات تلك الامم . لا يوجد فيكم من يجيز ابنه او ابنتهُ في النار ولا من يتعاطى عرافة ولا مشعبذ ولا متفائل ولاساحر الخ» (تث ١٨ : ٩ – ١١)

فان تعدد النصوص الصادعة بالمنع الشديد المشفوع بالتهديد المخيف لا يجهل شأنه غبي غافل فبالأولى القاضي الحكيم الذي ارانا انه خبير بتاريخ أُمته نقلاً عن اسفار التوراة الحاوية هذه النواهي الشديدة . ومن الجلي انه وقف على جميع ما فيها لا على بعضها دون بعض . وقد كانت احواله تدعوه الى مزيد التيقظ والاحتفاظ بالشريعة الموسوية لانه كان قبل ترؤسه ضعيفاً مدفوعاً عن حقه . وارتكاب موبقة كالتضحية غير مجهول امره ويقيم عليه المخالفين

لان تغاضيهم عن تلك التضحية يستنزل غضب الله عليهم ايضاً كما تقدم النص الصريح (أحبار ٢٠ : ٥)

وان قيل ان بين الامرين فارقاً فالمنهي عنه التضحية للآلهة الكاذبة واما بفتاح فاصعد ابنته ضحية للرب . قلت ان الله امر شعب اسرائيل بفم موسى النبي قائلاً « بجميع ما آمركم به تحرصون ان تعملوا لا تزيدوا عليه ولا تنقصوا منه » (تث ١٢ : ٣٢) فيفتاح مرتبط بما كان متبعاً في عهد موسى وشريعته وشريعة موسى لم ترد فيها تضحية الناس بتة بل المنع عنها متكرر كما رأينا من النصوص السابقة

١٣ — البرهان الثاني

(ثانياً) اذا نظرنا في هذه القضية نظراً مبنياً على النصوص التاريخية والمعلومات العمرانية نجد ان بني عمون « ظلموا بني اسرائيل الذين كانوا في عبر الاردن في ارض الامور بين الذين في جلعاد » (قض ١٠ : ٨) وان اولئك المظلومين صرخوا الى الله فوبخهم على زيغهم « فازالوا الآلهة الغريبة من بينهم وعبدوا الرب » (قض ١٠ : ١٦) فهذا الكلام يتضمن تحقيق ما هو معلوم عن بغضة كل من المتعادين عادات وعبادات الفريق الآخر

ولما كان تقديم الضحايا عند بني عمون مشهوراً على وجه الاختصاص حتى ان النهي المتكرر يصرح بالتضحية لمولك الذي هو اله العمونيين (قاموس الكتاب المقدس صفحة ٣٩٤ جزء ٢) فمن الطبيعي ان يفتاح وبيته وعشيرته وسبطه هم من اشد الناس بغضة في اقتفاء آثار العمونيين كلها وخصوصاً هذه الجريمة الفظيعة لانهم كانوا اشد اعدائهم بغضاء

ومن المسلم ايضاً ان الظافرين يستهينون بكل مالاعدائهم المقهورين من العبادات والعادات كل استهانة ودليلنا قول سفراء سنحاريب ملك اشور عدو حزقيا ملك يهوذا خطاباً لبني يهوذا «لا تسمعوا لحزقيا اذا اغراكم بقوله الرب ينقذنا اين اله حماة وارفاد اين اله سفروائيم وهيناع وعوّة العلهما نجيا السامرة من يدي . ومن من جميع آلهة البلاد انقذ ارضهُ من يدي حتى ينقذ الرب اورشليم من يدي» (٤ مل ١٨ :٣٢— ٣٦)

بل نجد النصّ في الكتاب المقدس يساعد عَلَى الادعاء في المبالغة باهانة القاهرين معبودات المقهورين ودليلنا عَلَى ذلك رسالة سنحاريب الاشوري الى حزقيا القائلة «لا يُطغك الهك الذي انت متكل عليه» (٤مل ١٩ : ١٠) فان نسبة الاطغاء تتضمن من الاحتقار ما لا يخفى . ولنا دليل آخر اعظم وهو القاء ملوك اشور الهة الامم التي دوّخوها في النار (٤ مل ١٩ : ١٦ و١٧)

فاذا كان عَلَى هذا النمط تصرف الظافر مع المقهورين فيفتاح في ظفره بالعمونيين لايخرج عن المألوف المتبع من امثاله الظافرين فيجتنب كل عادة عمونية و بالتالي يجتنب التضحية الممقوتة التي كانت اشهر عادات العمونيين

١٤ — البرهان الثالث

ان تقديم ذبيحة النذر يقتضي وجود كاهن والكهنوت محصور بهارون وبنيه . وخدمة خيمة الاجتماع كانت في عهد يفتاح منوطة بعالي الكاهن الذي قضى لاسرائيل من سنة ١١٨١ ق : م الى سنة ١١٤١ ق : م وكان صموئيل سنة ١١٤٣ السنة التي وقع فيها نذر يفتاح في الثامنة والعشرين من

سنه لانه ولد سنة ١١٧١ ق . م فيمتنع ان يكون هذا الرجلان التقيان والخبيران بالشريعة الموسوية قد مكناه من تنفيذ نية تخالف مشيئة الله وتنهي عنها الشريعة بصراحة مراراً متعددة

ودليلنا على ان النذر تم حيث كانت خيمة الاجتماع هو ما ذكره كاتب سفر القضاة عن افتتاح يفتاح اعماله حينما استلم مقاليد الامر في الشعب بانه «تكلم بكل كلامهِ امام الرب في المصفاة» (قض ١١ : ١١) فمن يبدأ اعماله في المصفاة مستمداً النصرة الربانية يتممها بمشيئة الله كما بدأبها

﴿ ١٥ — البرهان الرابع ﴾

رابعاً ان رأي القائلين بتضحية يفتاح ابنته ذبحاً يرمي الى ضم يفتاح الى ناداب وابيهو ابني هارون العظيم في معصيتهما الشريعة حينما قدَّما ناراً غريبة لا بل هو اعظم منهما جرماً واولى بالعقاب . فاما ان يكون عقابه قد عاجله في دنياه كما عاجلهما او يكون مخبوءًا له في يوم الدين في زمرة ذوي المعاصي . على ان الحقيقة واضحة انه بريء من الامرين كليهما فانه عاش بعد تتميم نذره سنة ١١٤٣ ست سنوات في مسند القضاء لاسرائيل (قض ١٢ : ٧) فهو لم يقاصَّ في حياته الزمنية . وعُدَّ بين ذوي الحياة الطاهرة والنهاية السعيدة كما اعلن ذلك العهدان العتيق والجديد بلساني النبي صموئيل والرسول بولس فالنتيجة مختلفة ومن المقرر انه حيثما اتفقت الاعمال اتفقت نتائجها وحيثما اختلفت النتائج اختلفت الاعمال ضرورة لانه حيثما يكون الاصل مقدساً فكذلك الفروع (رو ١١ : ١٦) ومن الثمرة تعرف الشجرة (متى ١٢ : ٣٣) فاما يقال ان يفتاح احسن عملاً فنال نهاية حسنة على ما ذكره الرب من فمه

الطاهر « اما ان تجعلوا الشجرة صالحة وثمرتها صالحة واما ان تجعلوا الشجرة فاسدة وثمرتها فاسدة » (مت ١٢ : ٣٣) واما ان يقال انه اساء عملاً فوجب ان تكون عاقبته رديئة ولكن هذه النتيجة نفاها الروح القدس فتمتنع مقدمتها حتماً وبالتالي ينتفي القول بان يفتاح اراق دم كريمته

١٦ — البرهان الخامس

(خامساً) ان الكتاب يقول « وكان روح الرب على يفتاح فعبر جلعاد ومنسى وجاز الى مصفاة جلعاد ومن مصفاة جلعاد عبر الى بني عمون . ونذر يفتاح نذراً للرب وقال ان دفعت بني عمون الى يدي الخ» قض ١١ : ٢٩ — ٣١) فمن يجترئ ان يقول ان روح الرب بعد ما حلّ على يفتاح دفعه الى ان ينذر نذراً يخالف مرضاة الله ويستنزل عقابه الصارم لا على الناذر فقط بل عليه وعلى كلٍ من واطأه ايضاً . فان الروح القدس يعلمنا ان ذلك الافتراض لا يجوز تصوره قائلاً بفم الرسول يعقوب اخي الرب « العل ينبوعاً واحداً من مخرج واحد يفيض بالعذب والأجاج » (يع ٣ : ١١) فروح الله دائماً يدفع الى الصالحات لانه « اذا كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين» (رو ١١ : ١٦)

فان قيل ان الكتاب المقدس يذكر ان الله شاء ان يمتحن ايمان ابراهيم به فأمره ان يأخذ ابنه الوحيد اسحاق ويصعده محرقة على احد الجبال . نجيب ان هذا كان بامر الله لا نذراً نذره ابراهيم ثم اذ كانت البداءة في هاتين الحادثتين واحدة فمن مقتضى الضرورة ان تكون النهاية فيهما واحدة وقد منع الله ابراهيم بفم ملاكه ان يمس جسد ولده بسوء فبالقياس يكون يفتاح ممنوعاً عن ان يمس جسد ابنته بسوء وبذلك يثبت انها لم تذبح واقتضى

التسليم ضرورة بانها تبتلت لانه حيثما يكون في القضية قولان ثم يسقط الواحد فقد ثبت بسقوطه القول الآخر وانتفت الريبة في صحته

١٧ — البرهان السادس

(سادساً) ان يفتاح يقول في نذره « يكون للرب » (قض ١١ : ٣١) فهو كقول الرب « لي كل بكر في اسرائيل » (عد ٨ : ١٧) وكان كل بكر في اسرائيل يُفتدَى بموجب الشريعة (خر ١٣ : ١٣) اذن يكون ليفتاح ان يفتدي ابنته ولكنه لم يفتدها كما ان حنة لم تفتدِ بكرها صموئيل واعطته الرب كل ايام حياته (١ مل ١ : ١١) فاذن قد اقامت ابنة يفتاح لدى خيمة الاجتماع كما اقام صموئيل النبي وكما اقامت ايضاً النبية حنة بنت فنوئيل (لو ٢ : ٣٧) الا ان صموئيل لم يكن بتولاً فتزوج ورزق البنين (١ مل ٨ : ١) وحفيده هو هيمان المغني ابن يوئيل ابن صموئيل (١ أخ ٦ : ٣٣) والفرق بين نذر يفتاح ونذر حنة ام صموئيل ان يفتاح نذر كل خارج من بيته يصعده محرقة واما ام صموئيل فلم تنذر ان تصعد ابنها محرقة والمراد بالمحرقة التبتل مدة الحياة فنذر ابنة يفتاح ينطبق على نذر حنة بنت فنوئيل انطباقاً اوفى الا ان حنة كانت ارملة وابنة يفتاح عذراء وبالتالي تكون ابنة يفتاح مثالاً اكمل

١٨ — البرهان السابع

(سابعاً) ان طلب ابنة يفتاح من ابيها ان يهب لها ان تقضي في الجبال شهرين متجولة مع اترابها تبكي بتوليتها قرينة مانعة ان يكون القصد من اصعادها محرقة سفك دمها لاسباب منها اولاً ان نيل الحياة مدة تحت تصور القتل امرٌ من القتل نفسه بدليل ان الذين يقع الحكم باعدامهم يطلبون سرعة

انجازه للراحة من عذاب تصور وقوعه المتواصل ثانياً قالت لتبكي بتوليتها لا لتبكي حياتها وهذا يفهمنا ان النذر موجه الى البتولية لا الى فقد الحياة ثالثاً لو كان النذر واقعاً على فقدها الحياة لاقتضى ان لا يأذن لها ابوها بالبعد عنه شهرين لكي يتمتع بمرآها في تلك المدة

٢٩ = البرهان الثامن

ان عبارة الكتاب عن وفاء النذر هي هذه « فاتم بها النذر الذي نذره وبدلاً من ان يصرح او يلمح الى انه اصعدها محرقة يقول » وهي لم تعرف رجلاً » (قض ١١ : ٣٩) فلو كان اصعادها محرقة قد جرى لما كان من حاجة الى ذكر انها لم تعرف رجلاً لأن الكلام تقدم على انها بتول ولا مساغ للقول انها تزوجت بعد النذر لان الاصل بقاء ما كان على ما كان ولا يتصوَّر العقل امكان زواجها والموت يرفرف فوق رأسها

ولكن لما كان قوله [فاصعدها محرقة] تعبيراً مجازياً وقرينة مجازيته العقل والعادة يقع فيها خفاء اضطر الى ان يذكر الحقيقة فقال [واتم بها النذر الذي نذره] وهو اسكانها في جوار خيمة الاجتماع للخدمة المبرورة فعاشت حتى ماتت [وهي لم تعرف رجلاً] متممة النذر حسبما صدر

فهذه البراهين الاكيدة تنفي كل مظنة باطلة تصوّر ان يفتاح فتك بابنته وتبين كون الانقطاع الى البر كان معهوداً منذ زمن قديم

٣٠ الغاية من النذر

ان لهذه الحادثة نتيجة ذات فرعين · الاول ان يعلم كل اب ان له نفوذ التصرف في مستقبل ابنته في ما يرضي الله كما ان حادثة نذر حنة ولدها

صموئيل يعلم ان للام نفوذ التصرف في مستقبل ابنها وبالتالي ان تصرف الابوين نافذ عَلَى اولادهما نفوذاً تاماً سواء كانوا ذكوراً او اناثاً وذلك في سبيل مخافة الله وطاعته

وان يعلم كل ابن وبنت ان نفوذ تصرُّف الابوين في توجيه مسلك حياته الى ما فيه مرضاة الله واستنزال بركته هو حق رباني لا مندوحة عن الانقياد اليه كما تكلم الروح القدس بفم الرسول بولس قائلاً [ايها البنون اطيعوا والديكم في الرب فان هذا هو العدل] (أف ٦ : ١)

وان يعلم ان النذر بتقديم الابن او البنت الى الله يؤثر بداءة بدء تأثير حزن عَلَى النفس ولكن اتمامه بكل خضوع لارادة الرب واجب كل الوجوب وبه يجنى الخير للنفس وللقريب وتكون الحياة اجود ثماراً تنيل المراحم الربانية في الدارين الزائلة والباقية

وكل حق ينجم عنه مسئولية خاصة فاذا كان للوالدين ملء التصرف في مستقبل بنيهم وبناتهم فعليهم ولا ريب مسؤولية اهمال هذا التصرف متى وقع منهم تقصير في العناية المتوجبة ليثبت رسوخ مخافة الله في قلوب البنين

فما اعظم المسؤولية عَلَى الآباء الذي لا يبذلون العناية الكاملة في تثقيف ابنائهم وبناتهم حتى تنقش في الواح تلك القلوب الرخصة كلمات الحياة فان تغافلهم عن استخدام السلطان المعطى لهم من لدن الله تعالى عَلَى نسلهم ليكون « اعضاء جسد المسيح من لحمه ومن عظامه » (اف ٥ : ٣٠)

يقتاد بقيود ثقيلة الى موقف هائل في ذلك اليوم الرهيب الذي هو على الابواب

وما اعظم المسؤولية ايضاً على البنين والبنات الذين لا ينقادون الى رغائب والديهم الصالحة ويعملون بنصائحهم الضامنة لهم رضى الله عزَّ وجل وما اقصاهم عن ان يشبهوا اولئك البنات الاسرائيليات اللواتي كنَّ يجرين كل حول تذكار ابنة يفتاح حضاً على الطاعة البنوية الصادقة التي بواسطة القيام بها تخلد ذكر ابنة يفتاح مثالاً كريماً

الثاني تأييد القول ان التبتل لله كان في كنيسة العهد القديم اولاً وتدرَّج في كنيسة العهد الجديد منذ نشأتها . وكان التبتل سلكاً ينتظم بهِ الذكور كايليا واليشع النبيين والاناث من عذارى كابنة يفتاح وارامل كحنة ابنة فنوئيل . وكان المتبتلون والمتبتلات منهم من يقيم في الهيكل كحنة المذكورة ومنهم من يقيم في البرية كالانبياء الذين كان ايليا واليشع يرئسانهم

فاقامة المتبتلين في المدن يخدمون في البيع المقدسة ويعلمون في معاهد العلم ويمرضون في المستشفيات واقامتهم في البرية يصلون ويخدمون من يمر بهم من المسافرين شؤون سبقت لها الامثلة في عهد الكنيسة العتيق وانما توسعت دوائرها في عهد الكنيسة الجديد لتوسع المطالب المعاشية وللرقي المدني المتزايد نمواً مع الايام بفضل التعاليم المسيحية المقدسة

٣٢ تفضيل التبتل على الزواج

وهنا مجال واسع نعطف اليه قلوب ابناء البيعة الارثوذكسية الناطقين

بالضاد فنقول ان اتجاه افكارهم الى تقديم ابنائهم وبناتهم الى التبتل اقل مما هو متوجب لذلك لم تزهر حدائق نجاحهم الملي كما يجب لان الحصاد كثير والفعلة قليلون

فلا خلاف في ان الكتاب المقدس يصرح بفضل التبتل على الزيجة [فغير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب . واما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته . ان بين الزوجة والعذراء فرقاً . غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً واما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها » (١ كو ٧ : ٣٢ — ٣٥)

ويصرح أيضاً أن للوالدين ملء الحرية في تدبير مستقبل بنيهما بدليل نصه القائل « من زوج حسناً يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن » (١ كو ٧ : ٣٨)

فيجب والحالة هذه الاهتمام بتربية البنين والبنات بأدب الرب وموعظته وتقديم بعضهم للانقطاع الى خدمته رجاء ان يفوز اولئك المنقطعون بالوعد المقدس الذي اعطاه الفادي الحبيب بقوله « الحق أقول لكم انه ما من احد ترك بيتاً او اخوة او أخوات أو اباً أو أماً أو بنين او حقولاً لاجل اسمي ولأجل الانجيل الا يأخذ مئة ضعف اما في هذا الزمان فبيوتاً واخوة واخوات وأمهات وبنين وحقولاً مع اضطهادات واما في الدهر الآتي فالحياة الابدية » (مر ١٠ : ٢٩ و ٣٠) فان المتبتل لله تصير كل بيوت الملة له ومن فيها من المعمرين آباؤه وامهاته ومن اترابه اخوته واخواته ومن

الأطفال ابناؤه وبناته فأسرته كثيرة العدد وذكره ان أحسن التصرف مخلد في مصحف الفضل الى الأبد وثوابه في الملكوت موءكد الغبطة كما به الوعد ورد

فالمتبتلون من الذكور والاناث هم المنقطعون لاعمال المبرات الانقطاع المثمر اكرم الثمار فيداوون المرضى غير متخوفين من العدوى وينفقون على المشاريع الخيرية غير مهتمين كيف يبقون لورّاثهم ثراء ويكبون على تعليم وإعالة الايتام واليتامى لا يرجون من وراء ذلك ربحا ماديا ويتجندون للابحاث العلمية الدقيقة غير مبالين بما يتكبدون لاجلها من الاسهار والاسقام فبهم تسعد الملة ويشرق بدر نجاحها في افق الكرامة

وان كان الملي يتعلل بانه جمع لولده من حطام الدنيا ما يضمن له الحياة العالمية على بسط الرغادة · والمكتفي يزعم ان حقه بمستقبل ولده يفضل كل حق والفقير يذهب الى ان عوزه يدعوه الى الاستفادة المادية ببقاء ولده معه يكدح ليعينه على احتياجات المعيشة · وذو العائلة الصغيرة يرى الاولى به ان يسعى في تكثير عددها بسر الزواج · وذو العائلة الكبيرة يدعي ان الاكبر لاغنى له عنه ليربي الأصغر والأصغر احب اليه فلا يسمح ان يفارق مرمى طرفه فان هذه الاعذار كلها مما ينتظم في سلك اعذار اولئك المدعوين الى العشاء العظيم فطفقوا كلهم واحداً فواحداً يعتذرون « فقال الاول قد اشتريت حقلاً ولا بد لي ان أخرج وانظره · وقال الآخر قد اشتريت خمسة فدادين بقر وأنا ماض لأجربها · وقال الآخر قد تزوجت أمرأة فلا

أستطيع أن أجيء »(لو ١٤: ١٦— ٢١) فان هذه الاعذار كلها لم ترق في عين رب الوليمة وقال « انه لا يذوق عشائي احد من الرجال المدعوين » (لو ١٤ : ٣٤)

فيجب ان نطرح هذه الاعذار جانباً و يقدم الآباء والامهات من ابنائهم وبناتهم ان كانوا كثاراً او قلالاً وان كان الاب مليا او مكتفيا او فقيراً لان اتباع يسوع المسيح والتتلمذ له اوجب من كل واجب نحو الابوين الجسديين بدليل ان الذي قال له « ئذن لي ان امضي اولاً وادفن ابي » اجابه هكذا : «دَعِ الموتى يدفنون موتاهم وانت فامض وبشر بملكوت الله » (لو ٩ : ٦٠) ولهذا قال « من يأتي الي ولا يبغض اباه وامه وامرأته وبنيه واخوته وأخواته بل نفسه ايضاً فلا يستطيع ان يكون لي تلميذاً » (لو ١٤ : ٢٦ و ٢٧) والمراد بالبغضاء هنا الاعراض عن الرغائب لا المعاداة لان الله محبة والتلمذ له بالمحبة يمتنع ان يكون فيه شيء من البغضاء

والذرية ولا مشاحة منة سماوية فيجب ان يذكر الوالدان تلك المنة السماوية المعطاة لبني اسرائيل في البرية وهي المن الذي منحه الله فانهم التقطوا منه فمنهم من اكثر ومنهم من اقل ثم كالوه بالعمر فالمكثر لم يفضل له والمقل لم ينقص عنه فكان كل واحد قد التقط على قدر اكله (خر ١٦ : ١٧ و١٨) ولنا بهذه الاعجوبة تبصرة فانه اذا كان الله ساوى بين انصبة شعبه في المن المحسوس فبالاولى ان يساوي بين انصبتهم في المن الروحي وهو النسل الصالح لذو العائلة الكبيرة وذو العائلة الصغيرة سواء لديه في واجب طاعته والعمل لتمجيد اسمه بل ان العطية من ذي الحاجة احب اليه واوفر اجراً منه

كانوه بفضل الارملة التي تبرعت بالفلسين (مر ١٢ : ٤٢) ومهما عددنا مصف المنقطعين لخدمة الله كثير العدد ومالدينا من البنين قليلاً فليس ذلك المصف بأغنى من خزانة الهيكل العظيمة وما من عائلة افقر من تلك الارملة «التي القت كل معيشتها» (مر١٢ : ٤٤)

وارجومن الله ان يكون لهذا الصوت الضعيف في هذا الكتيب تأثير حسن في مسامع اخوتي ويكثر فيهم المتاجرون بوزنات الابناء والبنات لخدمة الانجيل خدمة نشيطة تنيل مئة ضعف من البركات في هذه الحياة وبعد اطول الاعمار الحياة الابدية

٢٣ — نظم هذه الحادثة

وقد تخيرت سرد هذه الحادثة شعراً لما في الشعر القصصي من مزية الاتيان بالموعظة الحسنة والحكمة الباهرة في خلال سرد الوقائع فتأتي النصيحة في موضعها كأنها نتيجة واردة عن قياس بنيت بناء قمة الصرح على محكم الاساس وتجد النفس من اللذة بها ما لا تجده في ايرادها منفردة ولا عجب فان جمال البدر يتم تألقهُ حينما تكون مصابيح السماء باسرها لامعة والفريدة يعرف فضلها متى انضمت اليها الدرر الاخرى

وقد انشأتُ هذه القصائد حافظاً فيها الاسلوب العربي في الاوزان ومتبعاً اسلوباً جديداً في القوافي اوقع في الاذن واوسع للجمع وقد اوردتُ من عندياتي استكمالاً للبحث اخباراً مضافة على ما اورده الكتاب المقدس لاتنافي ما ورد فيه . وعلقتُ شرحاً على ما جاء من التشابيه والمجازات والكنايات وضربتُ الامثال لهامن الكتاب المقدس اشارة الى ان تلك الاسفار

الالهية تحوي ضمن بساطتها العجيبة بلاغة فائقة تستطيبها النفس ويحسن بها ان تلقنه واوضحتُ ايضاً الكلام الغريب لتسهل مطالعتها فعسى ان تكون فائدة المطالعين من نشرها حسب املي فتلك حسبي وكفى

(١)

ام يفتاح

« وكان يفتاح الجلعادي جبار بأس وهو ابن امرأة بغيّ ولدته لجلعاد »(١) (قض ١١ : ١)

محتويات الاصحاح

بلوج الصباح — توبة ام يفتاح — تزوُّجها بجلعاد — ولادة يفتاح

مواعظها

ان حلاوة الغواية مرجعها الحتمي الى مرارة — التوبة الى رب العالمين هي خير ملجأ للخاطئين — من يطلب الصفح من الله بنية صادقة نال الرحمة من لدنه تعالى بمحو ذنوبه السابقة — العمل ثمرة الدين

---

(١) تدعى ام يفتاح بغياً اي زانية مجازاً من باب تسمية الشيء باسم ما كان عليه وهذا النوع المجازي وارد في الكتاب المقدس ومنه قول كاتب سفر الملوك الاول « وسبيت امرأتا داوود اخينوعم اليزرعيلية وابيجايل امرأة ﴿نابال الكرملي﴾ » (١ مل ٣٠ : ٥) وابيجايل كانت وقتئذٍ تدعى امرأة داوود لا ﴿ امرأة نابال ﴾ فسماها بالاسم الذي كان لها قبلاً

ومنه ايضاً قول ابن سيراخ « ﴿ البنت ﴾ المحتشمة تستحي من رجلها » والتي لها رجل تكون امرأة فسميتها ﴿ بنتاً ﴾ باسم ما كانت عليه

عين الصباح تنبهت بعد الكرى   فرأت محيا الجوّ ربَّ تبسمِ
واتى النسيم من العبير مؤزرا   فرأى التبرؤ من عداد النوّمِ
فاختار من صحبوا التيقظ معشرا (١)

نهض الصباح كرائد في اثرهِ   جيش تقلد أنصلاً وعواملا
ليسير في بحر الوجود وبرّهِ   كيما يصيب من العدوّ مقاتلا
فاذا اصاب حوى الرجاء الاكبرا (٢)

ما انفك بينَ برازخٍ وجزائرٍ   مثلَ العقاب غداة حلق في الفضا

والشواهد من العهد الجديد في هذا الباب كثيرة منها قول البشير« ولما اقترب يسوع اذا ميت محمول ابن وحيد لامه وهي ارملة . . . فلما رآها يسوع تحنن عليها . . . ولمس النعش . فوقف الحاملون فقال ايها الشاب لك اقول قم فجلس ﴿ الميت ﴾ وابتدأ يتكلم » (لو ٧ : ١٢ — ١٥) فالذي تكلم هو حي وانما دعاه ﴿ ميتاً ﴾ باسم ما كان عليه

وكلمة يفتاح معناها (يهوه يحرر) وكلمة جلعاد معناها صلب اي قاس.

(١) الكرى النعاس . والمحيا حرُّ الوجه والمراد به الوجه كله . والمؤزر الذي عليه ازار وهو غطاء . التبرؤ التخلص * جعل الصباح والجو والنسيم اشخاصاً واثبت لهم الشخصية بان جعل للصباح عيناً وللجو محياً وللنسيم ازاراً . ومفاد الكلام انه يريد ان يظهر قدوم النهار فتصوّره انساناً وتكلم عنه كانسان.

(٢) الرائد الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه . والانصل جمع نصل وهو السيف . والعوامل جمع عامل او عاملة وهي صدر الرمح يسمى الرمح كله بها من باب تسمية الكل باسم جزئه كتسميته الانسان بالجسد في الآية القائلة « والكلمة صار جسداً » (يو ١ : ١٤) والمقتل في الاصل العضو الذي اذا أصيب صاحبهُ به لا يكاد يسلم . والمراد هنا بالمقتل موضع الضعف * مفاد الكلام جعل الصباح رائداً يتجسس آثار الليل اي انه من جند النهار والنهار والليل في حرب

لم يُلفَ ما يولي احتواءَ مفاخِرٍ — فسعى كأن بقلبه نار الغضا
قد افقدته تجلداً وتصبرا (١)

من شرقهِ الاقصى سرى مسترسلا — في السير لم يرأفْ بعزم جواده
واتى الى اليبس الوسيع مؤملا — نيل المنى برباهُ أو بوهادهِ
ويقولُ نالَ مناهُ من لزم السرى (٢)

لكنه ودَّ التريثَ لحظةً — كمفكر في ما يريد صنيعا
قد كان ذلك حين شارف جنةً — في روضها شكر المزار بديعا
فثوى بها مستأنساً مستبشرا (٣)

---

(١) البرزخ في الاصل الحاجز بين شيئين وفي اصطلاح الجغرافيين قطعة يابسة بين بحرين · الفى وجد · الغضا شجر جمره شديد الحرارة * مفاد الكلام ذكر ان الصباح سار من الشرق في المياه فمر بالبرازخ ولم يجد من الليل غرة اكتشانها بكسبه الشرف فواصل السير وكل ذلك من التخيل الشعري يتضمن ان بزوغ النور من الشرق يكون الى الغرب كامتداد الرائد في الارض التي امامه

(٢) سرى سار عامة الليل والمراد هنا السير على الاطلاق من باب تسمية العام باسم الخاص ومثاله من كلام المسيح له المجد ستدرجه في موضع آخر ومن كلام العرب قول ضرار بن الازور

عشية لاتغني الرماح مكانها — ولاالنبل الا المشرفي المصمم

فالمشرفي السيف المنسوب الى مشارف (ومشارف قرى من قرى العرب) والمراد كل سيف لانوعاً مخصوصاً منه · والمسترسل المنبسط · والمنى جمع منية وهي المراد والوهاد جمع وهدة وهي الارض المنخفضة · وقد جعل الصباح ذا ركوبة من باب التخيل الشعري كناية عن الاسراع لان الفارس اسرع من الراجل

(٣) التريث الابطاء · شارف الشيء اطلع عليه من فوق · وشكر المزار بديعاً جملة ذات معنيين الاول شكر المزار البديع اي الله لان بديعاً تاتي بمعنى مبدع · والثاني شكر

انوار ذاك الروض في اكمامها   محبوسة الانفاس ذات تأثرِ
ودموعها اتسقت بسلك نظامها   فحكت محاسنها عقود الجوهرِ
لكنها دلت على حزن ورى (١)

ورأى البلابل كالصدى لمحن   تروي لما سمعته خير مثالِ
اذ سبحت فضل القدير المحسن   اجناد عرش النور بالاجلالِ
حمداً على احسانه في ما برا (٢)

اما النسيم فقد تموَّج رهبةً   ولاجل ذلك ما استطاع سكونا
واذ ارتقى صوت البلابل نغمةً   قد كررت انفاسه آمينا
فغدا الصباح لما رأى متأثرا [٣]

الفى الصباح بذي الحديقة مشهدا   لم يستطع لما رآه رواحا

المزار شكراً بديعاً اي فائق الحسن . وثوى اقام * بهذا الكلام علل شروق الصباح على تلك الحديقة

(١) الانوار جمع نور وهو الزهر او الابيض منه . والمراد بدموع الانوار الندى وفي الكلام استعارة والسلك الخيط يُنظم به الجوهر والخرز . وورى اتقد ، تخيل الانوار اشخاصاً واثبت لهم الانفاس والدموع وتخيل الحزن ناراً واثبت له الاتقاد . وهذا النوع من الاستعارة يدعى الاستعارة التخيلية وله شواهد عديدة من الكتاب المقدس كقول ايوب « ايامي انطفأت » (١٧ : ١) فقد تخيل الايام مصابيح وجاء بالانطفاء للدلالة على ذلك

(٢) اجناد عرش النور اي الملائكة الصالحون

(٣) آمين الرأي الصحيح في مفادها انها بمعنى استجب وهي عبرانية الاصل

فلذاك قد ترك التجسس والعدى لما رأى تحت الغصون صباحا
وحديقة التفاح تسقي جوهرا (١)

ذاك الصباح صبيةٌ خرّت على وجه الثرى تتلو صلاة خشوعِ
ودموع عينيها تحاكي جدولا والنار لاهبةٌ بطيِّ دموعِ
وجفونها ارتفعت الى ربِّ الورى (٢)

سألت ومن سأل العلي موفقُ ماخاب من جعل العليَّ ملاذا
قالت نعم جرمي العظيم محققُ لكنَّ عفوك قد تخذتُ معاذا
حاشا حنانك ان يضيق ويصغرا [٣]

رباه جاريتُ الضلالة شقوةً فتلهبت بجرائري احشائي

---

(١) اراد بالصباح صبية حسناء · وحديقة التفاح استعارة لوجنتيها والجوهر استعارة للدمع * بهذا التخيل الشعري علل بقاء النور بازغا طول النهار

(٢) خرّت اكبت · وتحاكي تشابه · والجدول النهر الصغير . والنار استعارة اراد بها الحزن وقرينة الضلوع تدل عَلَى المقصود وقد ذكر اللهيب الذي يناسب النار وهذه الاستعارة يقال لها ترشيحية ومثلها من الكتاب المقدس « يحزمون احمالاً ثقيلة عسرة الحمل » (مت ٢٣ : ٤) اراد بالاحمال الثقيلة الشرائع الصارمة وذكر الحزم والحمل وهما يناسبان الاحمال اما القرينة عَلَى ان الكلام مجازي لا حقيقة فهو في صدر التعبير اذ قال الرب هكذا « عَلَى كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه ولكن حسب اعمالهم لا تعملوا لانهم يقولون ولا يفعلون » (مت ٢٣ : ٢—٤) فان الجلوس على كرسي موسى يعني ان يكون المراد نظم الكتبة والفريسيين بين اهل المنالة ويدل عَلَى ان المراد في الكلام المجاز لا الحقيقة

(٣) الملاذ الملجا وكذلك المعاذ · والجرم الذنب · والحنان الرحمة

ورشفتُ من سم الغواية جرعةً　　صبت على كبدي اشدَّ بلاء

وعلوتُ من غي الشباب مشمَّرا (١)

خلتُ الهلاك هو الحياة فساقني　　ظني الى عيش الشرور المظلمِ

ورأيت في الشهوات لقد راقني　　فبدات جنة عفتي بجهنمِ

لم اخشَ من جهلي اللهيب تسعرا (٢)

ويلاه اني قد هجرتُ طهارتي　　وجعلت جسمي آلة لهلاكِ

اذ غبتُ في تيار شرّ شقاوة　　ادعو القلوب بناظري الفتاكِ

لغواية اسفاً لما مني جرى (٣)

---

(١) الجرائر الخطايا · ورشف مصّ · · والمشهر في الاصل اسم فرس للمهلهل عدي بن ربيعة التغلبي والمراد به الجواد على الاطلاق من باب تسمية العام باسم الخاص · ومثاله من الكتاب المقدس ما ورد في بشارة لوقا (٦ : ٣٢) فانكم ان احببتم الذين يحبونكم فاية منة لكم فان الخطاة يحبون من يحبهم » وفي بشارة متى (٥ : ٤٦) « فانكم ان احببتم من يحبكم فاي اجر لكم اليس العشارون يفعلون ذلك » فمن دعاهم لوقا خطاة دعاهم متى عشارين والحقيقة ان العشارين بعض الخطاة فاستعمل متى الخاص موضع العام

(٢) خلت ظننت · تسعر تلهب · في هذا الكلام اشارة الى ما في نفوس المجرمين من الرغبة في السعادة فهم يطلبونها ولكن من غير سبيلها · وقوله جنة عفتي من باب التشبيه المؤكد اي عفتي كجنة · ومن هذا النوع قول النبي والحكيم سليمان « المنافق بحبال خطيئته يمسك » (ام ٥ : ٢٢) اي بخطيئته كحبال وكقول النبي الجهير الصوت اشعيا « كساء البر » (٦١ : ١٠) اي البر كالكساء

(٣) التيار موج البحر الذي يجذب الى جهة واحدة · وفي قوله « تيار شر شقاوة » تشبيه مؤكد اي شر شقاوة كالتيار ومن امثلته قول ارميا « انا هو الرجل الذي رأى مذلة بقضيب سخط الله » (مراثي ٣ : ١) اي بسخط الله كقضيب

اسفاً على عهد الطهارة مزهرا ... وردالصفا خلواً من الاشواكِ

فلدن تغيرتُ المسامر منكرا ... كنتُ الملاكَ فبت غيرملاكِ

وكذاك يمسي من تغير منكرا (١)

رباه هب لي درَّ عين ساجما ... عما جنيتُ من الخطايا السودِ

لما عبدتُ ملذةً ودراهما ... والعابدون سواك شرُّ عبيدِ

أَفعابد الشهوات يفلح يا ترى (٢)

خلتُ الملذاتِ الشهادَ مذابةً ... فتخذتها لي مورداً مأمونا

ماذقتُ من ذاك المعين حلاوةً ... الاَّ استحالت ثم افسنتينا

واحسُّ في كبدي لهيباً أسعرا (٣)

---

(١) ورد الصفا اي صفا كالورد . ولدن لما . والمسامر المحدث ليلاً والمراد هنا المحدث دون تقييد فهو من إستعمال الخاص في موضع العام وقد مرَّ مثاله * في هذا البيان إيضاح لشعور الاثيم باثمه وكونه ابتعدعن الله والتصق بالشيطان الذي يريد هلاكه

(٢) العين هي العضو المعروف والمراد بكلمة عين هنا الدمع تسمية للشيء باسم فاعله ومثاله «هو يعمدكم بالروح القدس ونار» (مت ٣ : ١١) اي بمواهب الروح القدس . ودر عين اي الدمع كالدر من باب التشبيه المؤكد . يفلح ينجح

(٣) الشهاد جمع شهد وهو العسل . المورد محل ورود الماء . المعين الينبوع والافسنتين نبات مر . واللهيب حر النار من باب تسمية الشيء باسم مسببه ومثاله قول الرب يسوع «ابن الانسان يسلم الى رؤساء الكهنة والشيوخ فيحكمون عليه بالموت» (مر ١٠ : ٣٣) اي يحكمون عليه بارتكاب خطيئة التجديف التي جزاؤها الموت . واراد باللهيب ايضاً ما يعتري الانسان الخاطي من الاضطراب أثر ارتكاب الخطيئة

رمتُ المزيد فلم ازد الأَردى　　وبهانة عظمى وشراً اعظما
ويلاه كيف لزمت بؤسي موردا　　وأخال اني استزيد المغنما
وكذاك شأن الفاجرين بلا امترا (١)

كم دارتِ الصهباء في جاماتها　　وعلا نشيدُ الناي والقيثارِ
تدعو النفوس الى جنى شهواتها　　كيما يطيب لها ركوبُ العارِ
فنهيم في وادي الشقاء تعثرا (٢)

حتى اذا زال السلافُ وماجنى　　وخزَ الضمير فكانَ وخزَ رماح
ابداً يبكتُ ذا الشقاوة معلنا　　الزم صلاحك خلِّ سبلَ طلاح
فلمثلِ خلقِ القديرُ وصوَّرا (٣)

اني اتوب اليك عن عمر مضى　　لدغت به افعى الشرور فؤادي

---

(١) البؤس الاذية

(٢) الصهباء الخمر . والجام اناء من فضة من كاس ومشربة ونحوهما . والناي والقيثار آلتا طرب . والجنى هنا العسل وجنى الشهوات من باب التشبيه المؤكد اي الشهوات كالعسل . وهام ذهب على وجهه لا يدري اين يتوجه

(٣) السلاف ما تحلب وسال قبل العصر وهو الخمر . والمراد بالسلاف هنا الخمار اي ما تحدثه الخمر من الصداع والسكر تسمية للشيء باسم فاعله ومثاله « ولم يصنع هناك قوات كثيرة » (مت ١٣ : ٥٨) اي العجائب وهي مفعول القوات . ووخز الضمير كوخز الرماح من باب تشبيه العقلي بالحسي ومثاله « هلم نتحاجج يقول الرب ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج » (أش ١ : ١٨) فان الخطايا عقلي والقرمز والثلج حسيان

رمت الحميم فخضت نيران الغضا وهمـاً بأن الشر ذو إسعادِ

مع انه مما يزيد تضرُّرا (١)

يارب طهرني بهاطل ادمعي لركوب متنِ المنكراتِ علَى الصبى

واجعل الى ظل النزاهة مرجعي فأموتَ طاهرة وأحوي المأربا

اذأ كتسي من توبة لي مئزرا (٢)

ظلتْ دموع الخود تجري عندما ولسانهـا يتلو ولم يتوقفِ

تبدي علَى ماضي الذنوب تندما فالكائنات رأين هولَ الموقفِ

ورثينَ مما قد سمعنَ تحسرا (٣)

اما الصباح فظل يسمع ماتلت كضيع رشداً بكأس عقارهِ

---

(٤) الحميم الماء البارد والمراد الهناء . والغضا احرُّ الاشجار ناراً والمراد بنيرانها الشقاء ففي الكلام استعارة والمستعار منه حسي والمستعار له عقلي ومثاله قول بولس « البسو سلاح الله الكامل » (ف ٦ : ١٤) اي تزينوا بنعم الله الروحية

(٢) المتن الظهر في الكلام استعارة فقد جعل المنكرات مركوبة واثبت لها المتن وهي استعارة كنائية كقول اليصابات « مباركة ثمرة بطنك » (لو ١ : ٤٢) فقد جعلت البطن كالغصن بذكر الثمرة . والمئزر والإزار واحد

(٣) الخود المرأة الحسنة الخلق الشابة . والعندم دم الاخوين والمراد هنا الدمع الاحمر وقد صور الكائنات تصوير العاقلات بجعل الكلام عنها بضمير جمع الاناث وهو جائز في الشعر العربي كقول البحتري

وهوى هوى بدموعه فتبادرت نسقاً يطأن تخلفاً مغلوبا

فقال بطأن لانطأ

ما زال يرقبها الى ان اقبلت رسلٌ دعوه الى التماس دياره

فمضى وظلَّ سحابها متحدرا (١)

واتى الظلام فلم يزدْ الاسى وتوسلاً وتهجداً وبكاء

وتجرعت من مرِّ ذكرى اكوسا عمّا جنته من الشرور مساء

فتركنَ بستان الفضيلة مقفرا (٢)

ورثت سماواتُ العلى لنواحها ولانها تابت عن الاثام

وتاكدت ايثارها لصلاحها والطهر في مستقبل الأيامِ

طهراً يظلُّ شذاه ينفح عنبرا (٣)

وقف الملاك بها وقال لها اكتبي صفح العلي ولم يعد من بأسِ

فتجلببي جلبابَ طهرٍ واقتفي آثار من نشروا الهدى للناس

كي تسعدي اذ تقدمين المحشرا (٤)

---

(١) العقار الخمر · وسحابها دمعها · الرشد العقل · ومفاد الكلام انه جعل مرور الوقت واقتراب افول الشمس بمثابة رسل للنهار وهذا تعليل عن اقبال الليل

(٢) التهجد صلاة الليل · وتجرعت بلعت · واكوس ما يكون في الاكوس من باب تسمية الشيء باسم محله ومن ذلك قول سليمان الحكيم «حنكك كجود الخمر» (نشيد ٧ : ٩) اي ريقك · وقول المخلص «انتم ملح الارض» (مت ٥ : ١٣) اي ملح الناس والمراد بملح الناس مصلحو الناس وقوله «من اين كانت معمودية يوحنا من السماء اومن الناس» (مت ٢١ : ٢٥) اي امن الله اومن الناس

(٣) سماوات العلى اي السماوات العلى جمع عليا وهذه الاضافة مثل اضافة روح التدس اي الروح القدس والمراد بسماوات العلى ذلك الرحيم المستقر فيها من باب تسمية الشيء باسم محله كما مر معنا في البيت السابق · والشذا قوة ذكاء الرائحة

(٣) تجلببت لبست الجلباب وهو ثوب واسع للمرأة والمحشر محل الحشر اي الدينونة

اقصي التأنق بالملابس والحلي وتأنقي باغاثة المسكين
وتخيري الاحسان افضل موئل فمحاسن الاعمال سر الدين
وبغير حسن السعي لابر يرى (١)

سرت بافاه الملاك واحسنت عملاً به الذكرى الى الآباد
واذ استقامت سيرة وتحصنت زفت مكرمة الى جلعاد
والله اولاها زفافاً مثمرا (٢)

فتحت لها ابواب كل كرامة لما تخيرت السبيل صلاحا
واستبشرت طرباً بسوءل حشاشة لما حباها ربها يفتاحا
فجلته في افق السعادة نيرا (٣)

وتوصيتها ان تكون مقتفية آثار الابرار توضح ان التوبة لا تكون ذات فائدة الا متى اقترنت بالسير بعد حدوثها على سبل الصلاح وبالتالي ان تكون توبة مؤبدة بالعمل الحسن

(١) اقصى الشيء ابعده . التأنق طلب انفس الاشياء . الحلي هو ما تتزين المرأة به من مصوغ المعادن والحجارة الثمينة . وفي هذا البيت معنيان الاول مأخوذ من قول الرسول بطرس « لاتكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب بل زينة الروح الوديع الهادئ » (١ بط ٣ : ٣ و٤) والثاني مأخوذ من قول الرسول يعقوب « الايمان بدون اعمال مائت » (يع ٢ : ٢٦)

(٢) تحصنت صارت حصاناً اي عفيفة . وزفت العروس اهديت الى زوجها . والزفاف الزواج . وجلعاد والد يفتاح قاضي اسرائيل بطل هذه الرواية

(٣) السوءال الملتمس . الحشاشة في الاصل رمق من حياة النفس ويراد بها النفس . وحباها منحها . وجلته من باب جلا العروس اذا عرضها بابهى زينة . في هذا البيان ايضاح ما ينال الخاطئ من الانعامات السنية اذا تاب عن اثمه . فالله يصفح عن ذنبه والناس ينظرون اليه بعين الاحترام بعد الازدراء به . ومعنى يفتاح (الله يحرر) .

الله يطلب توبة من مجرم من تاب فاز بمحتوى الانعام
فحذار واليأس الذميم لمأثم ان اليآسة اكبر الآثام
فاغنم بتوبتك العطاء الاخرا (٤)

ان كان عفو الله يشمل من جنى فرضاه عمن بره مستكمل
فاختر باجناد العفافة موطنا فثواب من حفظ العفافة افضل
فالبس له ثوب الفضيلة اطهرا (٢)

(٣)
والد يفتاح

« وكان يفتاح الجلعادي جبار بأس وهو ابن امرأة بغي ولدته لجلعاد. ثم ولدت لجلعاد زوجته بنين فلما كبر بنو زوجته طردوا يفتاح وقالوا له ليس لك ميراث في بيت ابينا لانك ابن امرأة غريبة . فهرب يفتاح من وجه اخوته واقام بارض طوب فاجتمع اليه قوم بطالون وكانوا يخرجون معه »
(قضاة ١١ : ١ — ٤)

محتويات القصيدة

نسب جلعاد ابي يفتاح — رغبته في الزواج — هجوم الاعداء على بني

(٣) بمحتوى الانعام اي باحتواء الانعام . المأثم الخطية . اليآسة اليأس وفي هذا البيت بيان ما لليأس من النتيجة الذميمة وما للتوبة من العاقبة الكريمة

(٤) جنى اذنب . اجناد جمع جند وهو المدينة . والعفافة العفة جعل العفاف متسعاً كالمدينة من باب التشبيه المؤكد دلالة على ان من اراد العفاف لا يضيق عليه مسكنه وثوب الفضيلة اي الفضيلة كالثوب

جلعاد ودفاع جلعاد الحسن — اصابته بجرح — العناية بجلعاد — تزوجه المرأة الاولى ام يفتاح — ولودة يفتاح — قيام اقارب جلعاد عَلَى جلعاد المذكور — تزوجه المرأة الثانية — ولودة الثانية بنين — وفاة جلعاد — اغتراب يفتاح عن اهله — نشأته — سخاؤُه — صيرورته رئيساً لعصابة

مواعظها

الاحسان جزاء الاحسان — ما اغزر المراحم السماوية عمن تاب بنية نقية — الام شمعة تحرق نفسها لدى زوجها ولا ترجو الا سعادة ابنها — عداوة ذوي الانساب من دواعي الاغتراب — جود البنان يوجد الاخوان - التصرف الحميد يخلد الذكر المجيد

جلعادُ منتسبٌ الى جلعادِ   منحدرٌ من يوسفَ الصديقِ
عن صفوةِ الآباءِ والاجدادِ   كان الفريدَ بشأنه الموموقِ
ولذاك قد رأس العشيرةَ يافعــا (١)

ابدى ضروب بسالةٍ مشهورةٍ   رفعت له فوق السحاب قبابا
فتزمت بثناهُ كل خريدةٍ   لو قابلت بدرَ التمام لغــابا
خجلاً لدى بدر المحيا سافرا (٢)

---

(١) اي الرجل جلعاد من سلالة جلعاد ابن ماكير ابن منسى ابن يوسف الصديق (العدد ٢٦ : ٢٩) ومنحدر اي مولود والصفوة من كل شيء خياره ُ . ورأس العشيرة ترأسها . واليافع المناهز البلوغ في هذا البيت بيان نسب جلعاد وقد كان الاقدمون ولاسيما اليهود لهم بذلك اهتمام عظيم ومعنى جلعاد (صلب)

(٢) ضروب جمع ضرب اي نوع . الخريدة اللؤلؤة وهي كلمة مستعارة للعذراء بقرينة الترنم الذي لايصدر الأمن الشخص العاقل . وهذا النوع من الاستعارة وارد في

وذا الحصول على فؤادٍ طاهرِ   في قربه يجد الغنى كل الغنى
يولي البنين وجوههم كزواهرٍ   وحديثهم يجلو عن القلب العنى
فيرى محيا العيش ابلج ناصعا (١)

لكنهُ اختار التمهل ريثما   يحظى بمن يصبو الى آدابها
كرمت شمائل ثم راقت ميسما   لم تصرف امبالها لثيابها
وتحقرت حسن السجايا الرائما (٢)

ان الفتى كل الفتى من ينتقي   ذات الفؤاد البرّ والخلق الحسن

الكتاب المقدس ومنه قول المخلص لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة (مت ١٥ : ٢٤) اي شعب اسرائيل . وفي هذا البيت اشارة الى ما كان يجري للمنتصرين من الاحتفالات بواسطة الشعب ولا سيما العذاري كما تغنين لداوود بنشيد ضرب شاول الوفه وداوود ربواته»

١) الحصول على فؤاد طاهر اي على زوجة لها فؤاد طاهر من باب تسمية الكل باسم جزئه ومن شواهده في الكتاب المقدس اصوم مرتين في السبت (لوقا ١٨ : ١٢) ✻حسب نص النسخة اليونانية✻ اي في الاسبوع . يولي البنين اي يجعله ذا بنين وهذا مجاز من باب نسبة الشيء الى سببه لا الى فاعله لان الله هو الذي يعطي البنين لا الزوج ولا الزوجة ومن هذا النوع المجازي قولنا بنى الامير المدينة والامير لا يبني بيده بل بأمر البنائين فيبنون . وجملة يرى محيا العيش ابلج ناصعاً فيها بيان لبهجة الاب ببنيه وهم اصحاب صحة وسجايا حسنة

٢) صبا حن . وحظي به نال حظاً منه . الشمائل جمع شمال اي الطبع . والميسم اثر الجمال . والرائع من الحسن المعجب . في هذا المقال بيان لما يتخيره الرجال الحكماء من اخلاق النساء فهم يطلبون بهاء الشمائل لا بهاء الغلائل ونظافة القلوب لا نظافة الجيوب

اما الذي يبغي خلاعة منطق وجمال اعضاء خلوًا من فطن ·
فلسوف يثقله الزمان فواجعا (١)

يا رُبَّ يوم فيه قد عرف العدى عن آل جلعاد الغيابَ عن الحمى
فتألبوا ونخيروهم مقصدا كي يتركوهم خائضاً بحر الدما
هارباً او عبدَ رقٍ طائعا (٢)

ثار العجاج كأنه ليلٌ دجى وعلت اهازيجُ العدوِّ رعودا
والطودُ تحت السائرين ترجرجا والأفق يملأه العدوُّ بنودا
والبيضُ اشبه بالنجوم لوامعا (٣)

صرخت عذارى الحيِّ ياحامي الحمى اليوم يومك يا ابا الابطال

١) البر البار · الخلاعة خروج عن حد الحشمة · اثقله حمله حملاً ثقيلاً · والفواجع النكب · وقد ذكر الاثقال بتخيل الفواجع احمالا · والفتى كل الفتى اي الفتى البالغ الغاية من الفتوة

(٢) تألبوا تجمعوا · خائضاً بحر الدما كناية عن انه مقتول ومن هذا القبيل قول الله لادم « بعرق وجهك تأكل خبزك » (تك ٣ : ١٩) اي بتعبك كما يدل على ذلك قوله تعالى اولاً « ملعونة الارض بسببك بالتعب تأكل منها كل ايام حياتك » (تك ٣ : ٧) · وفي هذا المقال تقسيم للمنكوبين فهم اما قتيل ممدد او اسير مستعبد اوهارب تشرد خوفاً من الموت الاسود

(٣) العجاج الغبار · ودجا اظلم · واهازيج جمع اهزوجة وهي الاغنية التي يترنم بها · والطود الجبل · ترجرج اضطرب · والبنود جمع بند وهو العلم الكبير · والبيض جمع ابيض وهو السيف · في هذا المقال وصف حالة العدو المتهيء للقتال

ان كنتَ تنسانا سنمسي مغنما للكافرين العابدي التمثالِ

فاشهر على الاعداء عضباً قاطعاً (١)

فاهتزَّ جلعادُ كغصنٍ املدا هزَّته ارواحُ الصباح شمالا

واجاب ليكن لن اخشى العدى لابل ارى كأس المنون زلالا

وبها المنى ان كنت ادفعُ فاجعا (٢)

ودعا ايا آل العشيرة اسرعوا ان العدوَّ دنا من الابياتِ

فتقلدوا بسيوفكم وتدرعوا بسوابغ للخوض في الغمرات

وحذار نصبح للعدوّ مطامعا (٣)

لما استحر القتل لم يكُ راحما احداً وفاضت هاطلات دماءُ

وقد احتوى من ذاك مجداً دائما ان يذكر الابطالُ في الهيجاءِ

اذ كان كالليث الخميس مدافعا (٤)

---

(١) شهر سيفه استله . العضب السيف . وفي هذا البيت بيان لما كان يجري قديماً من استرقاق نساء المحاربين و بناتهم . وقد ازالت الديانة المسيحية هذا المبدأ الوحشي وصارت الحرب تقع بين الحكومات واما الشعوب فلها ملء الامن على عرضها ومالها.

(٢) املد ناعم . الارواح جمع ريح. والزلال من الماء العذب الصافي

(٣) السوابغ جمع سابغة وهي في الاصل درع سابغة فحذف الموصوف ايجازاً كقول الكتاب المقدس « وكان كلاهما بارين » (لو ١ : ٦) اي شخصين بارين والسابغة التامة والطويلة . والغمرة الشدة . يريد بالغمرة الحرب من باب تسمية الشيء باسم مسببه ومثاله قول ارميا « سنن الامم باطلة » (ار ١٠ : ٣٠) اي آلهتهم كما يدل على ذلك سياق الكلام اذ يقول « فان واحداً يقطع شجرة من الغابة فتصنعها يد النجار بالقدوم وليست السنن هي الشجرة بل الآلهة الكاذبة تصنع من الشجر . وقوله نصبح اي نقع صباحاً وهذا دليل على ان الغزو في القديم كان يقع صباحاً (٤) استحر القتل اشتد . الخميس الشجاع الشديد

ما انفكَّ ما بين الصوارم والقنا يردي العدوَّ بسيفهِ البتارِ

ضرباً هو الموتُ المعجلُ فانثنى ذاكَ العدوُّ وفرَّ شرَّ فرار

مثل البغاث أثار نسراً جائعا (١)

رجعت منسى عن مطاردة العدى والشهم جلعادُ الشجاعُ مصابا

في جنبه رمحٌ طويل سُدِّدا فجرت شآبيبُ الدماء سحابا

وبدا بياضُ الوجه اصفر فاقعا (٢)

طلبوا لايقاف الدماء وسيلةً حفظاً لذاك النور قبل غيابهِ

لم يفلحوا سعياً وخابوا حيلةً والبدر يسري نورُهُ لحجابه

لما افاضَ شعاع نصرٍ ساطعا (٣)

واذا بذاتِ قلادةٍ قد أسرعتْ نحو الخالب تسبر الانباء

(١) الصوارم السيوف · والقنا الرماح · يردي يهلك . البغاث طائر كالباشق يصيد شيئاً من الطيور ولكنه لا يقدر ان يقاوم النسر الذي يمزقه تمزيقاً

(٢) منسى اي امة جلعاد فلهذا انث الفعل كما جاء في قول الشاعر

لو لا فوارس تغلب ابنة وائل اخذ العدوُّ عليك كل مكان

وقد سمي عشيرة جلعاد باسم جدها الاعلى من باب تسمية الجزء باسم الكل · وفي جنبه رمح طويل اي طعنة رمح طويل من باب تسمية الشيء باسم آلة ايجاده · وسدد الرمح اي ارسله سديداً مصيباً · والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر · واصفر فاقع اي شديد الاصفرار

(٣) المراد بالنور حياة جلعاد والمراد بالغياب الموت والبدر اي جلعاد والحجاب اي القبر وقد تكلم عن جلعاد كبدر فاجرى الكلام على مقتضى ذلك من ذكر النور والحجاب والشعاع

نزعت عن الرأس الخمار وقدوعت   ما كان توقف بالخمار دماء

فأتت بما صنعته أمراً نافعا (١)

في الحي قد خدمته اشرف خدمة   سهر الدجى وصلت به سعي الضحى

لم تشك من كلل عرا ومشقة   حتى رأت ان الرجا قد افلحا

والسيدات كذا يجدن صنائعا (٢)

ليس المداوي من درى ما قد عرا   سقماً وما اخلاط طب شافيه

ان المداوي من يلازم ذا الضنى   بعناية تكسوه ثوب العافيه

ولفضله لاق الثنا متتابعا (٣)

فاختارها دون الحسان قرينة   يجزي جميل صنيعها بجميل

وبدت لديه برة وامينة   وحديثها طب لقلب عليل

يسقيه ريب الدهر سماً ناقعاً (٤)

---

(١) لبس القلادة من شؤون الاناث . تقلدت القلادة انثى . والتألب الاجتماع . والسبر في الاصل معرفة عمق الجرح وهو هنا استعارة لمعرفة الخفي . والخمار ما تغطي به المرأة رأسها . ووعى الشيء تدبره

(٢) الصنائع جمع صنيعة وهي الاحسان يجدن من الاجادة والمعنى ان السيدات يجدن مثل هذه المبرة اي انهن اقدر من الرجال على ملازمة العناية بالجرحى والمرضى ولذلك نجد الشعوب المتمدنة تتخذ لخدمة مستشفياتها فتيات متهذبات تدرسهن من التمريض درساً قانونياً مقروناً بالعمل وتلبسهن لباساً مخصوصاً لكن فئة جندية ولكنهن جند الفضيلة

(٣) الاخلاط هي الاجزاء الطبية المعلومة الفاعليات تأثيراً على الاجساد

(٤) البرة الصالحة . وسم ناقع اي بالغ والطب العلاج . في مقال حديثها طب تشبيه ووجه الشبه المنفعة

لكنما الاهلون قاموا اجمعا   قالوا تخيّر بنت عمٍ دانيه
أَجننتَ حتى اخترتَ هذي منجعا   للنسل وهي قبيل عهدٍ زانيه
اسفاً لرُشدكَ كيف امسى ضائعا (١)

فأجابَ خلوا ذا الملام فما انا   ممن اذا سمعَ الكلام اشاحا
لاتجرحوا تلك الحبيبةَ بالزنى   واستبشروا بغلامها يفتاحا
شبلي الذي سيصيب ذكراً ضائعا (٢)

انسيتم راحابَ ان ثمارَها   كانت أجلُّ ثمارِ اسرائيل
رحضت بامواهِ الطهارة عارَها   وسمت بحظ طاهرٍ وجليل
فيه تلذُّ سرائراً ومسامعا (٣)

قلبُ العليِّ وكفه كسحائبٍ   ابداً تفيضُ الخيرَ والانعاما

---

(١) المنجع في الاصل مطلب الكلام (العشب) ومساقط المطر . ثم استعمل في كل مطلب من باب استعمال الاسم الخاص للشيء العام . والرشد ضد الغي . في هذا البيان مثال لافتراء المفسدين بين الشخصين المتحابين

(٢) اشاح اعرض . جرحه شتمه واسقط عدالته . والشبل ابن الاسد . والضائع هنا من ضاع المسك اذا فاحت رائحته . في كلام جلعاد تأنيب لاهل لذكرهم له ما يسوء عن زوجته ثم يوجه نظرهم الى ولده يفتاح الذي يرى عليه منذ الصغر دلائل تبشره بالخير

(٣) ثمارها استعارة يراد بها بنوها . وقد وردت في الكتاب المقدس ومن ذلك « مباركة تكون ثمرة بطنك » (تث ٢٨ : ٣) ورحضت غسلت . والمراد بالسرائر القلوب من باب تسمية الشيء باسم الحال فيه ومثاله قول البشير متى « واتوا الى البيت ورأوا الصبي ثم فتحوا كنوزهم » (مت ٢ : ١) اي صناديقهم التي فيها التحف

وحنوه يرضى بتوبةِ تائب   هجر الشرورَ وجانب الآثاما
والى سبيل البرّ أقبل هارعا (١)

وددت فتاةُ الحيّ أن قرينها   علقت تخاصمه ذوو قرباهُ
وتبيذهُ لا يزالُ امينها   متوثقاً قلباً بعهد ولاهُ
فاستقطرت ذوبَ الفؤادِ مدامعا (٢)

قالت لهُ خذما تشاء من النسا   هذا يحلُّ بشرع اسرائيلِ
وأقمْ عَلَى سنن الولاء مقدسا   عهدي وأيدْ نسبة لسليلي
من فيه عَرْف ثناك يغدو ذائعا (٣)

(الا ترضى ان تُداس حقوقها   هذا اذا حفظت حقوقُ فتاها

---

(١) قلب العلي اي صلاحه . وكفه اي جوده . وقد سمى الصلاح قلباً من باب تسمية الشيء باسم محله ومثاله «انتم ملح الارض» (مت ٥ : ٣) اي مصلحو الناس وسمى الجود كفاً من باب تسمية الشيء باسم آلته ومثاله «ابس عليهم عصا الله» (ايوب ٢٣ : ٩) اي تأديبه وقد دلّ عَلَى ارادة المجاز في كلمتي قلبه وكفه ذكر حنوه .

(٢) علقت شرعت . الذوب ما كان في ابيات النحل من الشمع . وفي الكلام تشبيه بليغ اي استقطرت الفؤاد كالذوب مدامع . وفي هذا المقال بيانٌ لما في السيرة السيئة السابقة من التأثير المؤلم حينا تخطر في البال فعلى الحكيم ان ينهج منذ بدء حياته في مسالك الصلاح والاستقامة فلا يتألم بتذكارات ماضية مؤلمة

(٣) اقم عَلَى سنن الولاء اي دم عَلَى شريعة الولاء . النسبة النسب . السليل الولد . وأيد نسبة لسليلي اي اوضح حقيقة كون ولدي يفتاح هو ابنك اي أنفِ عن نسبه اليك الريبة . والعرف الريح الطيبة

فاعرف لأمك فضلها فعقوقها ... من شرّ ما فيه عصيت الله
من يغرس العصيان يجن فظائعا (١)

فأجاب طلبة زوجه وتزوجا ... اخرى فوافته بخمسة فتية
ثم انبرى داعي المنون ولا نجا ... فقضى عزيز الشأن عذب السمعة
ورقاده قد كان خصبا صارعا (٢)

حرم الفتى بفتاح حق تراثه ... وبنو أبيه انكروا ميلاده
والأهل ضنوا أيديا بغياثه ... فأصاب سهم الحادثات فؤاده
والكل قد حسبوه سهما صارعا (٣)
اما الفتى فأختار سكنى قفرة ... حتى يعيش عن الانام بعيدا

---

(١) العقوق العصيان على الابوين بترك الشفقة ومنع الاحسان وابداء الاستهانة . كل مقال بين هلالين كهذا المقال انما هو نتيجة ادبية عرضت في سياق الكلام

(٢) الطلبة ما يطلب . الزوج كلمة تطلق على كل من الرجل والمرأة ويقال لهما معاً هما زوجان وهما زوج . انبرى اعترض اي انبرى الموت لقبض روحه وقد حذف متعلق الفعل ايجازاً لدلالة ما بعده عليه . وداعي المنون اي المنون كداع . وقضى مات . وقد تخيل السمعة كالماء فذكر لها العذوبة ففي الكلام استعارة تخييلية وقد اوجز النظم في ذكر زواج جلعاد الثاني وولادة بنيه وتخطى الى موته لان هذه الشؤون الموجزة لاعلاقة لها بالرواية وما ذكر منها كاف للصلة الروائية

(٣) انكروا ميلاده اي ميلادَهُ من ابيه . وضن بخل . والغياث المعونة . سهم النائبات . جعل النائبات قوساً وتخيل لها سهماً ومثاله من الزبور «طار على اجنحة الرياح» فقد جعل الرياح طيوراً وتخيل لها الاجنحة . وفي هذا البيت بيان لما يدور في افكار الاقارب المعادين من دفن مستقبل قريبهم الذي يرفضونه

كي لا يظلَّ بجنةٍ ومذلةٍ   فنما هنالك باسلاً صنديدا

وغدا لضرغام الفلاة مضارعا (١)

تخذ الهجوم على العدوّ صناعةً   فاصاب منها مغنماً ومفاخرا

ابداً يسابقُ في الغدوّ غزالةً   ويعودُ ممتلئاً اكفاً ظافرا

ودم العدو سقى ربىً واجارعا (٢)

قد كان يولي صحبه بسماحه   ما كان يغنمه بقائم نصلهِ

فتكنفوهُ وحاربوا بسلاحهِ   ورأى بهم كل الغنى عن اهلهِ

وبباسهم ترك المعادي هالعا (٣)

---

(١) نما بمعنى شبّ . وقد ورد هذا المعنى في الكتاب المقدس قال الرسول لوقا وكان الغلام (يسوع) ينمو ويتقوى بالروح (١ : ٨٠) والصنديد السيد الشجاع . الضرغام الاسد . المضارع المماثل . في هذا المقال بيان لما في سكنى الفلوات من اكتساب قوة الجسم وشدة البأس

(٢) الغزالة الشمس . ممتلئاً اكفاً كناية عن احتيازه السلب . وظافراً كناية عن فتكه بالعدوّ . والمسابقة في الغدو للشمس كناية عن الغزو الذي كان يجريه صباحاً واجارع جمع اجرع اسم الرملة الطيبة النبت

(٣) قائم نصله مقبضه . ولا يراد هنا المقبض بل الحد من باب تسمية الشيء باسم مصاحبه وهذا النوع المجازي ورد في الكتاب المقدس ومثاله فبادر شمعي ابن جيرا البنياميني ونزل للقاء الملك داوود وقال « ها انا ذا جئت اول كل بيت يوسف » (٢ مل ١٩ ١٦ و ٢٠) يريد بيوسف اخاه بنيامين لانه بنياميني . ومثاله من كلام العرب قول الشاعر   فنعم ابن اخت القوم غير مكذب   زهير حسام مفرد من حمائل .
يريد بالحمائل الغمد . ويصح ايضاً ان يكون قد اراد بقائم النصل السيف كله . والمالع

(فالجودُ انْ هطلت سحائبهُ نما روض الزمان واثمر الانصارا
لاتحسبنَّ من السماحة مغرما بل مغنماً يولي علىً ونخـارا
ويعيد وبلات الحياة منافعا (١)

اما اللبيبُ فان اجاد تصرُّفا ملأَ الحياةَ محامداً ومآثرا
والدهرُ يظهر رأيهُ مستحصفا وفعالهُ الغراءَ تدهش ناظرا
وصفاتهُ الحسناء تطربُ سامعا) (٢)

---

(٣)

رئاسة يفتاح

«وكان بعد ايام ان بني عمون حاربوا اسرائيل · فلما حارب بنو عمون اسرائيل انطلق شيوخ جلعاد ليأتوا يفتاح من ارض طوب · وقالوا ليفتاح تعال وكن لنا قائداً فنحارب بني عمون · فقال يفتاح لشيوخ جلعاد الم يكن انكم بغضتموني انتم وطردتموني من بيت ابي فكيف اتيتم الآن في شدتكم · فقالت شيوخ جلعاد ليفتاح لهذا جئناك نحن الان حتى تسير معنا وتحارب بني عمون وتكون رئيساً علينا وعلَى جميع سكان جلعاد · فقال يفتاح لشيوخ جلعاد اذا

الجازع · وفي هذا المقال بيان لحياة الرؤساء في العهد العتيق فكانوا ينكلون بالاعداء ثم يوزعون الغنائم علَى اتباعهم ليظلوا في معيتهم

(١) تخيل الجود سماء فاثبت له السحائب وروض الزمان تشبيه مؤكد اي الزمان كروض

(٢) المستحصف المستحكم * هذا المقال تنبيهة ادبية لما سبق ادراجه من حالة يفتاح

ارجعتموني لمحاربة بني عمون فدفعهم الرب اليَّ ا كون رئيساً عليكم . فقال شيوخ جلعاد ليفتاح ليكن الرب سامعاً بيننا ان كنا لا نفعل كما تقول »
(قض ١١: ٤-١١)

محتويات الاصحاح

ظلم الجلعاديين - ايقاع الاعداء بهم - بلوغ شهرة يفتاح الى قومه - ارسالهم وفداً اليه - اقامة يفتاح رئيساً للجلعاديين

موعظتها

لا تغفل الاحتذار في ليل ولا نهار - عاقبة البغاة هي الوقوع بيد العداة - الايام ترفع النقاب عن الخامل واللباب - المحافظة على النفس تطأطىء الراس - حد القرضاب اصدق الانساب - الهمة الوقادة تكسو صاحبها ابراد السعادة - العاقل يستقطر حلاوة الرغائب مرارة المصائب(١)

لا تنم الا على حذرٍ هالك من اغفل الحذرا
كم دهاه الخطبُ في السحرِ فأفاض الدمع منتثرا
كلُّ من اغفل ما وجبا ذاق من غفلته الوصبا(٢)

آل جلعاد الأُلى عُرفوا بمضاء العزم والباسِ
حقروا الاعداء وانصرفوا نحو سبل البغي في الناسِ

---

(١) البغاة جمع باغٍ . النقاب الغطاء . اللباب اللبيب . تطأطىء تخفض . القرضاب السيف القطاع . ابراد جمع برد وهو الثوب
(٢) اغفل الشيء تركه او سها عنه . الوصب الوجع الدائم ويراد به المشقة الدائمة

ملأُوا الكأس بما انسكبا ضمنها مما جنى العطبا (١)

جمعَ الخصمُ كتائبَهُ قاصداً ان يأخذ الثارا

وجلا صبحاً سحائبه ترسل الاسهم أمطارا

كلُّ من تدركه عطبا فاغتدى من جمرها حطبا (٢)

حكمَ الذابلُ والخذمُ في هوادي آل جلعادِ

ظُلموا من بعدما ظلموا وكذا الظلم لميعادِ

ويعودُ الدورُ منقلباً فيرى الغالب قد غُلبا (٣)

كرَّر الاعداء بطشهمُ واستباحوا الحيَّ مراتِ

فرأى جلعادُ انهمُ غُودروا أشباهَ امواتِ

كلُّ ذئبٍ صار محتسباً انهم أمسوا له سلبا (٤)

---

(١) ملأوا الكأس استعارة تتضمن وفرة اذيتهم وشرهم . والعطب الهلاك . في هذا البيت تصوير حالة من اعمت القوة الكاذبة عيونهم فانصرفوا الى الاذية غير مبالين بالعواقب

(٢) سحائبه مستعار والمستعار له العدو الكثير وقد انزل الاسهم منزلة النار استعارة كنائية وجاء بالجمر استعارة تخييلية للايماء اليها

(٣) الذابل الرمح الدقيق والخذم السيف القاطع الهوادي جمع هادي وهو العنق في هذا البيت بيان لعاقبة الظلم فانها تعود على صاحبها بالخسارة

(٤) استباحوا استأصلوا . وفي هذه الكلمة مبالغة اي ان الاعداء فتكوا بهم فتكاً ذريعاً . الذئب الحيوان المفترس الشهير والمراد هنا كل لص وسافل . وهذه الاستعارة موجودة في الكتاب المقدس قال الرسول بولس « انه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة » (اع ٢٠ : ٢٩) وتسمية اللص بالذئب مجازاً وارد في كلام العرب ومن ذلك تسمية اللصوص ذؤبان الفلاة . والسلب ما يسلب من المنهوب

ذكروا العهد الذي سلفا ورئيس الحي جلعادا
كيف كانوا سادةً شرفا رمحهم ما لان مذ آدا
ليت ذاك العصر ما ذهبا فلكم تهنا به عجبا (١)

ظلمنا عمت مصائبه قاصي الجيرة والداني
هطلت ناراً سحائبه فوق اعداه وجيران
أذكروا يفتاح اذ هربا ما كبا مدمعه سحبا (٢)

سألوا الايام كيف بدا اذ مضى كالسيف منفردا
فأجابتهم بدا أسدا اذ بدوتم انتم نقدا
ويحكْ الدهر ان نشبا محص الفضة والذهبا (٣)

لم يزل في الروع مفتشاً بالعدى كالمنجل الحاصدْ
ان لقي جمع العدى مئةً ليس ينجو منهم واحدْ

(١) العهد الزمن . اآد انحنى . الرمح في الاصل السلاح المعروف ثم انتقل للمعالي تُرفع عليها وسُميت مجد الامة من باب تسمية الشيء باسم آلته وقد ورد على العرب استعمال الرمح للمجد مجازاً ومن ذلك قول عمر ابن كلثوم التغلبي

فان قناتنا يا عمرو أعيت على الاعداء قبلك ان تلينا

(٢) في هذا البيت بيان ما يجول في خواطر المعتدى عليهم لضعف بأسهم بعدما كانوا يشدون على سواهم بقوة بأسهم

(٣) النقد جنس من الغنم واحده نقدة وهو قبيح الوجه قصير الرجلين يُضرب به المثل في القبح والضعف . ونشب علق . وقد جعل الحك مخالباً اذ كر له نشب استعارة تخييلية للدلالة على المقصود . ومحص اختبر

ثم يجبو جل ما اكتسبا — من به طرف اليسار كبا(١)
فعلا في المجد فرقده — وغدا المولى لمن والى
صار ذو الاعواز يقصده — يجتني مالاً وآمالا
بين من يصحبه اكتئبا — فغدا جمعهم لجبا(٢)
بلغت جلعاد شهرته — فتمنوه لهم راسا
اذ غدت في الناس سمعته — عنبراً قد فاح او آسا
وتناسوا ما اتوا سبباً — قد دعاه يمتطي الهربا(٣)
(يعرف الناس حقوقهم — وحقوق الغير قد جهلوا
فاذا عازوا الذي ظلموا — زعموا الحق بما سألوا
وعلى ما اسلفوا نكبا — ضربوا الاستار والحجبا) (٤)
كان سقطاً صار خير فتى — قربه اشهى المطاليب

---

(١) الروع الفزع يريد به الحرب من باب تسمية الشيء باسم المسبب عنه والمفتئت المستبد . وحبا اعطى . والطرف الكريم من الخيل وطرف اليسار اي اليسار كالطرف . واليسار المروة والسعة . وكبا عثر

(٢) الفرقد النجم المعروف . وعلا فرقده شاع ذكره . والمولى السيد . ووالى ناصر اي ناصره . الاعواز الحاجة . وذو الاعواز الفقير . واجتنى اقتطف . واكتأب كئب نفسه . واللجب الكثير

(٣) امتطى اي اتخذ مطية اي ركوبة . انزل الهرب منزلة الجواد . والسمعة ما يسمع من صيت او ذكر

(٤) اسلف اعطى سلفاً . وعاز الرجل احتاج اليه . وضربوا الاستار اي وضعوها وفي هذه الكلمة استعارة والمستعار له الاهمال والجامع له الاغفال

فاعدُوا منهم ثقةً ذهبوا عدواً الى طوبِ
حيث يفتاح ومن صحبا قد أصابوا موطناً رحبا (١)
ندموا والوجه منخسفُ واستماحوا العونَ والمددا
ثم صاحوا الحيُّ مختطفُ من اعادٍ كالحصى عددا
بعد ذاك العز واحربا قد شكونا الويل والحربا (٢)
يا ابن جلعاد اذكر الوطنا وبني الاعمام والمجدا
قبل ان نثوي الثرى سكنا والعدى تحصدنا حصدا
تحصد الاهلين والصحبا من بهم تعتزُّ منتسبا (٣)

---

(١) كان سقطاً الكلام موجه الى يفتاح • والسقط من لا يعد من خيار الشبان • والعدو الجري السريع والمراد هنا السرعة • وطوب مقاطعة في شرقي نهر الاردن وربما تكون القرية المدعوة طيبة من اعمال حوران حالاً هي طوب المذكورة هنا • الموطن الوطن • رحب اتسع

(٢) الانخساف ذهاب نور القمر • وفي الكلام استعارة واستماحوا سألوا • كالحصى عدداً اي كثار جداً وهذا مثل قول اشعيا «ان كان شعبك يا اسرائيل كرمل البحر» (اش ١٠ : ٢٢) واحربا كلمة تأسف وفي الاصل تقال لندب الميت والحرب اخذ المال

(٣) ثوى نزل • ونزول الثرى كناية عن الدفن والدفن كناية عن القتل وهو المقصود وهذه الكناية لها نظائر في الكتاب المقدس منها «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون» (مت ٢٣ : ٢) فجلوس الكتبة على كرسي موسى صفة ينتقل منها الى صيرورتهم قادة للشعب ومنها الى وجوب الامتثال لاقوالهم وهذا المقصود الصحب جمع صاحب • يلاحظ في هذا الكلام ان دعوى النسابة بينهم وبينه هي اهم موجبات استنصارهم وقد ادلوا بها لديه بعدما كانوا ينكرونها عليه فهي صحيحة في حين استفادتهم منها وكانت غير صحيحة لما كان له فائدة بها

يا ابن من ايامهُ شهبُ ضئن في أفق الكراماتِ
نحن ذاك النور نطّلبُ نطلبُ السالفَ للآتي
باتحادٍ راسخٍ طنبا وبعهدٍ لم يكن كذبا (١)

قال يفتاحُ انتهاجكمُ في سبيل البغي قد صرعا
جزتمُ احكام شرعكمُ فجنى كلٌّ كما زرعا
مَن جنى من عوسجٍ عنبا او جنى من عرعرٍ رطبا (٢)

فأصيخوا واسمعوا كلمي انني لم أنسَ ما كانا
كنتمُ تبغون سفك دمي لم نكن بالأمسِ اخوانا
كنتم لا تعرفون أبا لي في نخذكم انتسبا (٣)

فابي سيفٌ مضاربهُ أترك الهامات كالأكرِ
كلُّ ذي بأسٍ احاربهُ دمهُ ينهلُّ كالمطرِ

---

(١) الطنب حبل طويل يشدُّ به سرادق البيت او الوتد والمراد هنا الوتد · هذه وصلة ثانية لاثارة همته ونجدته فان الابن يحترم آثار ابيه

(٢) جازه تركه خلفه وقطعه وفي ذلك الدليل عَلَى العصيان · والعرعر شجر لا ساق له يشبه السرو ينبت في الجبال وقيل بل السرو نفسه · والرطب نضيج البسر (ثمر النخل) الواحدة رطبة

(٣) اصاخ استمع واصغى · تبغون تطلبون · وقد لمح بهذه الكلمة الى ان طلبهم لم يكن عادلاً بل ظلماً لان هذه الكلمة من مادة البغي الذي هو الظلم · والفخذ الرجل اذا كان من اقرب عشيرته · في هذا الكلام دليل عَلَى ان يفتاح لم يخدع بكلام قاصديه فلامهم عَلَى ما كان منهم بعبارة وجيزة اللفظ متسعة المعنى ابرزها بالطف حلة من رقة البيان

كلٌ من يصحبه انشعبا بوهاد الارض او بربى (١)

لستُ أرضى ان أصونكمُ من عدوٍ شاهرٍ حربا

قبل ان تلغوا بينكم انني أحيا لكم قطبا

فاستصابوا ماله طلبا واجابوه كما رغبا (٢)

ساد بفتاحٌ عشيرتهُ بعد إنكارٍ لمحتدهِ

وكذا الموري عزيمته ليس يخفى بدرُ سؤددهِ

فإذا جوفي او نُجبا فارق الاهلين واغتربا (٣)

كلٌ مختار دعامتهُ همةً وقادةً رقبا

وبها يرفع هامتهُ وبابراد العلى كسيا

(١) المضرب حد السيف · والاكرة لغة في الكرة · انشعب مات · في هذا المقال امران جديران بالاهتمام الاول ذكره الحقيقة بلا مواربة · والثاني معرفته منزلة نفسه وهذان الامران كانا وما زالا من شأن الابطال الحقيقيين

(٢) القى طرح والقى بينه حلف · والقطب سيد القوم · واستصابوا وجدوا صواباً · وفي عمل بفتاح دليل على حكمته فانه بعدما كان منبوذاً منهم اصبح رئيساً وقائداً لهم فعلى من اراد النجاح ان لا يهمل ما يراه حقاً له حينما يكون ما يشترطه لا يصادف الا القبول ولا يكل الناس الى مكارم اخلاقهم فان كل نفس تودُّ اجتلاب المنفعة لها على وجه الاختصاص

(٣) المحتد الاصل الموري عزيمته جعل العزيمة زنداً يقتدح منه النار والموري الذي يخرج النار · و بدر سؤدده جعل السؤدد فلكاً فتخيل له بدراً · والسؤدد القدر الرفيع نجيب أحزن

ان دجت ايامه نوبا اشرقت عزمته شهبا (١)

فليكن بفتاح تبصرةٌ للالى عاداهمُ الزمنُ

ان حووا ذكراه تذكرةً والى اعماله امنوا

كسبوا مما عرا أربا والليالي تولد العجبا (٢)

ايس من خطبٍ يلمُّ بنا خالياً من نعمةٍ جُلى

فلنجد في عرا فطانا فيها نستوضح النعمى

لن ترى العاقل مضطربا في البلاء ان صدره رحبا [٣]

فاألوا ان حلت النوبُ حسنَ صبرٍ يصحب الحكمه

فهما ان جلت النكبُ اكسبا من نقمةٍ نعمه

واشكروا الله لما وهبا ما هفا غصن بريح صبا (٤)

---

(١) الدعامة ما يستند عليه وبإبراد العلى اي العلى كالابراد نظير ثوب الخلاص اي الخلاص كثوب . دجت اظلمت النوب المصائب . هذا ما يجب ان تتلقنه كل نفس فتجد به كل خير

(٢) الارب الشيء المشتهى

(٣) الخطب المصاب . يلم بنا اي ينزل به . الفطن جمع فطنة وهي الفهم . وفي هذا البيت بيان وجه الاخلاد الى السكينة وتلقي النازلة بجأش رابط فان سعة الصدر تخفف من قوة البلاء وتفتح امام العاقل ابواب النجاة

(٤) جلت عظمت . هفا الغصن مال . وريح الصبا ريح لطيفة

(٤)

مراسلة عمون

« فمضى يفتاح مع شيوخ جلعاد فاقامه الشعب عليهم رئيساً وقائداً ٠ فتكلم يفتاح بكل كلامه امام الرب في المصفاة (١) ٠ وانفذ يفتاح رسلاً الى ملك بني عمون قائلاً مالي ولك انك جئتني للحرب في ارضي (٢) ٠ فقال ملك بني عمون لرسل يفتاح لان اسرائيل حين صعدوا من مصر اخذوا ارضي من ارنون الى اليبوق والاردن فردوها الان بسلام (٣) ٠ فعاد يفتاح ايضاً وانفذ رسلاً الى ملك بني عمون وقال له ٠ هكذا يقول يفتاح ان اسرائيل لم يأخذوا ارض موآب ولا أرض بني عمون ٠ لانهم حين صعدوا من مصر ساروا في البرية الى بحر القلزم وأفضوا الى قادش (٤) ٠ فأنفذ

---

(١) المصفاة (برج النواطير) موضع في جلعاد ويدعى ايضاً مصفاة جلعاد كما سيأتي ويدعى رامة المصفاة (يش ١٣ : ٢٦) وراموت جلعاد (٣ مل ٤ : ١٣) وقيل ان موقعها جبل هوشع وآخرون انها رمفة واخرون انها قلعة الربض

(٢) مالي ولك كلمة تقال للتعجب لا للنفور والاهانة وقرينة موقع الكلام تعينها فان يفتاح ارسل رسالة سلامية وهي تفتتح بالتودد لا بالتجافي والبيان عن كلمة مالي ولك مستوفى في كتاب الادلة الغراء تاليف والدي

(٣) ارنون (مصوّب) اعظم نهر الى شرقي بحر لوط ويدعى الان الموجب طوله ٥٠ ميلاً يصب في بحر لوط وهو يجف شتاء واليبوق اسم نهر يجري من المشرق الى الشمال من ارض جلعاد ويصب في الاردن ويسمى اليوم وادي الزرقا ٠ والاردن النهر المشهور

(٤) بحر القلزم هو البحر الاحمر ويسمى ايضاً بحر سوف ٠ وقادش (مقدس) وتدعى قادش برنيع وهي على بعد ١١ يوماً من حوريب (تث ١ : ٢) وعلى تخم ادوم (عد ٢٠ ٠

اسرائيل رسلاً الى ملك ادوم يقولون دعنا نعبر في ارضك فلم يرض ملك ادوم فأرسلوا الى ملك موآب ايضاً فلم يرضَ فاقام اسرائيل في قادش . ثم ساروا في البرية وداروا حول ارض ادوم وارض موآب واتوا ارض موآب من جهة الشرق ونزلوا عَلَى عدوة ارنون ولم يدخلوا تخم موآب فان ارنون هي تخم موآب . ثم وجه اسرائيل رسلاً الى سيحون ملك الاموريين ملك حشبون (١) وقالوا له دعنا نعبر في ارضك الى موضعنا . فلم يأمن سيحون اسرائيل ويدعهم يعبرون في تخمه وجمع سيحون جميع شعبه ونزلوا ياهص (٢) وحاربوا اسرائيل . فدفع الربُّ اله اسرائيل سيحون وكل شعبه الى ايدي اسرائيل فضربوهم وامتلك اسرائيل كل ارض الاموريين سكان تلك الارض وامتلكوا جميع تخوم الاموريين من ارنون الى اليبوق ومن البرية الى الاردن

: ١٦) وقد اقام فيها الاسرائيليون عدة اشهر ومنها ارسلوا الجواسيس الى ارض كنعان (عدد ١٣) ومنها تاهوا اربعين سنة ثم عادوا اليها وبدأوا يفتحون ارض الميعاد وفيها ماتت مريم اخت موسى وهارون وفيها ضرب موسى الصخر فخرج منه ماء

(١) حشبون (تدبير) اسم مدينة كانت في الاصل للموابيين ثم استولى عليها سيحون ملك الاموريين ثم تغلب عليها بنو اسرائيل كما يعلن ذلك سياق الحديث هنا وكانت عَلَى التخم بين رأوبين وجاد ثم بناها بنو رأوبين للاوبين مع انها ضمن املاك بني جاد (عدد ٣٢ : ٣٧) ثم استعادها الموابيون فذكرت موآبية في اشعيا (١٥ : ٤ و١٦ : ٨) وخرائب هذه المدينة ماثلة على بعد ١٥ ميلاً الى الشرق من الطرف الشمالي للبحر الميت وتعرف اليوم باسم حسبان

(٢) ياهص (موضع مداس) مدينة موآبية بقرب البادية في نصيب رأوبين خصصت بالكهنة (عد ٢١ : ٢٣) ويظن انها عَلَى بعد ميل جنوبي نهر الزرقا (اليبوق) وعَلَى بعد ١٢ ميلاً شرقي بحر لوط

فالآن فان الرب اله اسرائيل قد طرد الاموريين من وجه شعبه اسرائيل افأنت تملكهم اليس ان ما يملكك اياه كموش (٣) الهك اياه تملك وجميع الذين طردهم الرب الهنا من امامنا اياهم نملك · لعلك خير من بالاق ابن صفور ملك موآب فهل خاصم بني اسرائيل او اثار عليهم حرباً · وعندما اقام بنو اسرائيل بحشبون وتوابعها وعروعير (٤) وتوابعها وجميع المدن التي عند ارنون مدة ثلاث مئة سنة لماذا لم تسترجعوها في تلك المدة · اني لم أسيء اليك وانما انت تاصبني الشر بمحاربتك لي فليقضِ اليوم الرب الديان بين بني اسرائيل و بني عمون · فلم يسمع ملك بني عمون لكلام يفتاح الذي ارسل به اليه ٥ (قضاة ١١ : ١١ : ٢٩)

محتويات القصيدة

قدوم يفتاح الى قومه — تكلمه امام الرب — توليه مهام الشعب — معرفته تألب العمونيين عليه وعلى قومه — ارساله الوفد الاول — ذكر آصرة القربى بين اسرائيل وعمون — جواب عمون المتضمن طلب ارض اسرائيلية حينئذٍ — ارسال يفتاح وفداً ثانياً — ذكر بعض ما جرى حين امتلاك

(٣) كموش ويدعى ايضاً مولوك وملكوم وهو بعل فاغور كانت عبادته بتقديم الذبائح له من بني البشر ولا سيما الاطفال صنمه من نحاس جالس على عرش من نحاس له راس عجل عليه اكليل وكان العرش والصنم مجوفين وكانوا يشعلون في التجويف ناراً حامية جداً حتى اذا بلغت الحرارة بالذراعين الى الحمرة وضعوا عليها الذبيحة فاحترقت عاجلاً بينما الطبول تدق

(٤) عروعير (خرابات) تسمى الان عراعير وهي على بعد ١٢ ميلاً شرقي بحر لوط

اسرائيل ارض الميعاد — اخفاق مسعى هذا الوفد — اتفاق كلمة الجلعاديين

موعظتها

العاقل يفتتح الاعمال بحمد الله المتعال — على الراس ان يسهر اذا نام الجسد — الحكيم يلتمس الوئام ويجتنب بواعث الخصام — اجب باللين ولو سئلت من المعادين — اثبت على قرع باب السلام ولو كنت على غير ثقة من بلوغ المرام — ركوب مطية الظلم الصراح يشدد عزيمة العدو على الكفاح — من حفظ عهد مولاه اذلّ اعاديه ونال مناه

ما الندى في صيفٍ عقيبَ اتقادِ وحصولُ النجاة وشك البوارِ

كسرور يعزى الى جلعادِ حين حل الديارَ حامي الديارِ

بطل شاد بالسيوف الحدادِ فوق هام الاكليل دار الفخار

واذاق الاعداء كاسَ الهوانِ (١)

قدم الحيَّ والاهازيج تتلى ووجوه الحسان تشرق زهرا

واكفُّ الفتيان تحمل نخلا وقلوب الاهلين بالانس سكرى

ولدن ابصروا الرئيس الاجلا قدَّموا بالاجلال خبزاً وخمرا

وهي للشكر منتهى التبيان (٢)

(١) اتقاد اشتعال · وفي العبارة استعارة اي بعد حرّ شديد كلهيب النار · والبوار الهلاك · ويعزى ينسب · والاكليل منزل من منازل القمر وهو اربعة انجم مصطفة والمراد هنا النجوم كلها من باب ذكر البعض وارادة الكل · وقد جعل النجوم اشخاصاً فتخيل لها هاماً . وكاس الهوان اي الهوان ككاس · او جعل الهوان شراباً وذكر له الكاس استعارة تخييلية وهذا افضل

(٢) الزهر النجوم · وحمل سعوف النخل دليل الترحاب (انظر يو ١٢ : ١٣ ورؤ ٧ : ٩) وتقديم الخبز والخمر عادة من قديم الزمان لاكرام القادم (انظر تك ١٤ : ١٨)

والرئيس التقي امرع حالا اذ أحلّ الاقدام في المصفاةِ
حامداً ربه علَى ما انالا بمزيد الخشوع والاخباتِ
وبملء الايمان القى مقالا معلناً ما اكنّ من نياتِ
مستمداً لعونه الرباني (١)

وانيطت به شؤُون العشيره فأراهم قلباً رؤُوفاً شهما
واغتدى فرقدُ السماء سميره ليصافي غنماً ويدفع غرما
واقام البأس العجيب ظهيره كلما اظهر الزمان ملما
والليالي كثيرةُ الحدثانِ (٢)

ذات يوم انهت اليه العيونُ نبأ كالسهام بل هو اوخزْ
اذ تداعت لحربه عمونُ فليوم عصبصب تحفزْ
ورباها مشطبٌ مسنونُ واسود الى المعارك تهتزْ
من صميم القلوب كالاغصان (٣)

---

(١) الرئيس التقي هو يفتاح · واحلّ الاقدام كناية عن وصوله الى المصفاة · والاخبات المسكنة والتواضع

(٢) انيطت به علقت به · القلب الشهم الذكي · الظهير المعين · الملم اسيء الخطب · واغتدى فرقد السماء سميره كناية عن سهره وسهره كناية عن اشتغاله بشؤُون العشيرة بلا انقطاع وذلك كناية عن النشاط والحب ووفاءالمذهب حقه

(٣) انهت اليه ابلغته · العيون جمع عين وهو الجاسوس · وتداعى القوم تجمعوا · عصبصب شديد تحفز الرجل تهيأ للوثوب · المشطب السيف الذي فيه خطوط وطرائق تلع في متنه من شدة جريان مائه وصفاء جوهره · وفي بث يفتاح الجواسيس امارة واضحة علَى يقظته وحذره

ثم وافاه ان جمع الاعادي ذو صفوف اليهم يزحفونا

حالفاً ان يبيد من جلعاد كلّ حيّ براه حتى البنينا

فسيمسون عبرة الآباد ماتلت ظبية العنان دجونا

وهفا بالطراد ربُّ عنان (١)

فرأى قبل ان يسلّ الحساما ان يداوي باللطف غل الصدور

باعثاً للعدوّ رسلاً كراماً من ذوي النبل والمقام الخطير

كي يديروا من الحديث مداما فيزال الدجى ببدر منير

من ولاء يحيا مدى الازمان (٢)

---

(١) العبرة العظة · والآباد الدهور والمراد الناس ملء الدهور من باب تسمية الشيء باسم ظرفه ومن هذا النوع المجازي ما ياتي

عامنا مر في جهاد الدروس بين ثوبي منافر وانيس

فكان الشتاء وجه عجوز وكأن الربيع وجه عروس

وكاني بالصيف قلب محب يتلظى بمثل حرب البوس

وكان الخريف قرب عزيز وفرت عنده اماني النفوس

اراد بالشتاء ما يحدث فيه وهو عدم بزوغ النور كامل الضياء · واراد بالربيع ما يحدث فيه وهو الضياء واراد بالصيف حره و بالخريف مواسمه — الظبية الغزالة · والعنان بفتح العين ما بدا لك من السماء و بالكسر سير اللجام وظبية العنان الشمس · ورب العنان الفارس او الجواد والاول اصح · وهفا طرب

(٢) سل الحسام كناية عن الدخول في القتال · الغل الحقد · والنبل الذكاء والفضل وكمال الجسم · المدام الخمر · الدجى الظلام وفي الكلام استعارة والمراد هنا العداء بقرينة الولاء اي المحبة · في هذا البيت بيان لما على الرئيس الحازم من تدبير المشاكل بالسلام قبل الخطام وتخيير الطف الاقوال قبل تجريد الحسام

اقبل الرسلُ يذكرون انتسابا ضم لوطاً وعمه ابراما
وزماناً عاشوا به احبابا فاستطابوا تآلفاً ووئاما
ثم قالوا علامَ نضي حرابا لا تبقي ذا عارض او غلاما
ان ادرنا ارحاء حربٍ عوانٍ (١)

انتم تطلبوننا في حمانا وهو امرٌ يعدُّ محض افتراء
وتداعيتمُ لكي تتفانى بعد عهد الوفا وصدق الولاء
فلنصالحْ ولنترك العدوانا نجنِ من الفةٍ ثمارَ الهناء
واعتبار الملا وعيش الأمانِ (٢)

فاجابوهم على اللين لينا وابانوا ما يطلبون مرادا
وهو اجدادكم اساؤوا الينا حين حلوا بالسيف هذي البلادا
ركبوا في سبل الاماني شينا حينما استنصروا الرماح الصعادا
واحبوا مطية العدوان (٣)

---

(١) نسب ابراهيم ولوط وارد في (تك ١١ : ٢٧) والوئام الموافقه . نضى الحربة استلها . ذا عارض كناية عن الرجل وذا عارض او غلاماً اي لا تبقي كبيراً ولا صغيراً والارحاء جمع رحى وارحاء حرب اي حرب كالرحى تطحن الاحياء . والعوان الحرب التي قوتل فيها مرة بعد اخرى ولا يكون ذلك الا بين اشد الاقوام باساً وعدواناً

(٢) المحض الخالص . صالحه اخذ بيده كناية عن المسالمة والمودة . نجني نقطف . الالفة الصداقة

(٣) اجابوهم على اللين ليناً اي على الكلام اللطيف كلاماً لطيفاً . الشين العيب استنصروا طلبوا النصر اي حينما فتحوا البلاد بالحرب . والرماح الصعاد كلمة يراد بها الحرب من باب ذكر الشيء باسم آلته ومثله في الكتاب المقدس « ويعطيه الرب كرسي

تخمنا المستطيل من ارنونا يتنهي عند عدوة اليبوقِ
بالحسام الصقيل قد سلبونا ودعونا بأنةٍ وشهيقِ
خاسرين الاوطان او نادينا كل فرع نام وغصن وريق
قد سقته مدامع الاخوان (١)

فالسلام المحبوب منا جميعاً واضح النهج مستحبُّ المرامِ
ذاك فيما اذا اجدتم صنيما وسلكتم عَلَى منار الوئامِ
ها علمتم ما ندعيه وقوعا فـاعيدوا ديارنا بسلامِ
نحيَ خير الاهلين والجيران (٢)

ذكر الوفد عند يفتاح هذا وهو بين الشيوخ والأبطالِ
فرآه قد انشأوه ملاذا من ملامٍ عَلَى نشوب القتال

داود ابيه » (لو ١ : ٣٢) اي ملك داود . والصعاد جمع صعدة وهي الرمح المستوي

(١) التخم منتهى كل قرية او ارض . ارنون نهر تقدم الكلام عنه وكذلك اليبوق . والعدوة الشاطئ . والفرع والغصن استعارتان يراد بهما خيرة الرجال وهذه الاستعارة واردة في الكتاب المقدس كقوله « ويخرج قضيب من جذر يسى وينمي فرع من اصله » (اش ١١ : ١) وسقته مدامع الاخوان كناية عن المناحة عليه . في هذا ذكر للبلاد التي يرعب بنو عمون في استخراجها من يد الاسرائيليين

(٢) النهج المسلك . المرام القصد . المنار محجة الطريق . ومنار الوئام اي السلام كسبيل . في هذا البيت امران حريان بالذكر اولهما طلب ارجاع الديار والثاني التنازل الضمني عن حق وهو ترك المداعاة بالدم الذي ذكروا ان الاسرائيليين اهرقوه فهم من جهة يظهرون قدرة القوي الذي يداعي بحقه ومن جهة اخرى يبدون سماح الكريم ولا يخفى ما في هذا التصرف من الدهاء

ان ذا الشرِّ بالاباطيل لاذا طائعاً ان يفوز بالا مـال ِ
تحت نقع الهيجا بالمرّان ِ (١)

فارتأى به ثَ موفدٍ ذي بيان ِ يلفظ القول لؤلؤاً مكنونا
قائلاً ان « يهوهاً » اوصاني لا اعادي موءاب او عمونا
سرت في البر كالشريد اداني بحر سوف ٍ واتقي المبغضينا
ثم في قادش ثوت اظعاني (٢)

منعتنا ادومُ ثم موءابُ عن مرور ٍ في ارضهم بسلام ِ
فسر بنا وكل ارض ٍ يبابُ متجافين عـن سبيل الخصام ِ
عبر ارنونَ ربعنا المستطابُ دون ارنون فهي للاعمام ِ
اي موءاب ابن لوط ٍ العبراني (٣)

---

(١) النقع الغبار الهيجاء الحرب · والمران الرماح الصلبة · ويراد بالمران هنا كل سلاح من باب ذكر البعض وارادة الكل · في ذكر يفتاح مستقراً بين شيوخ قومه وابطالهم دليل عَلَى ان يفتاح عرف كيف يجمع اليه ميل العموم فكان حبيباً الى الشيوخ لعمله برأيهم وحبيباً الى الابطال فيلتئمون حواليه فهو كالقلب يستورد الدماء ويوزعها وهذا احسن موقف للرئيس الحازم

(٢) يهوه اسم الله اله اسرائيل (انظر خر ٦ : ٣) ووصية الله لبني اسرائيل بشأن بني عمون واردة في (تث ٢ . ١٧ — ٢٠) ودانى الشيء قاربه · بحر سوف هو بحر القلزم او البحر الاحمر وقادش تقدم الكلام عنها · والاظعان جمع ظعن وهو الهودج فيه امرأة اولا · والمراد هنا الاحمال

(٣) منعتنا ادوم اي عشيرة ادوم وادوم هو عيسو وقد اطلق اسمه عَلَى المحل الذي قطنه وذلك المكان مقاطعة واقعة الى جهة الشمال من برية قادش في جنوبي ارض كنعان

ثم رمنا المرورَ في حشبونِ فتصدى لحربنا سيحونُ
قاصداً ان نذوق كأس المنونِ وهو ملك له امور تدينُ
باذخ الشأن في المكان المكينِ لصناديده تذلُّ الحصونُ

فبرزنا للحربِ في الميدانِ (١)

نصر الله شعبهُ اي نصرِ فاستبحنا العدوَّ سلباً وذبحا
واخذنا عليه كلَّ مكرِ سفح الطعن فيه يملأُ سفحا
فانتصاراتنا ببيض وسمرِ منحتنا تلك الغنائم منحا

وحللنا في هذه الاوطانِ (٢)

اصبعُ الله رب اسرائيلِ قد حبتنا ارضَ الاموريينا

ومؤاب هو ابن بنت لوط الكبرى كما ان عمون هو ابن بنت لوط الصغرى (تكوين ١٩ : ٣٧ و٣٨) وقد اطلق اسمه على محل سكنه وهو المقاطعة الواقعة شرقي بحر الميت على ضفتي نهر ارنون وبياب خراب والاعمام اي بني الاعمام العبر جانب النهر

(١) حشبون اسم مدينة سبق الكلام عنها تصدَّى تعرَّض . تدين تطيع . في المكان المكين اي في المنزلة السامية تذل الحصون اي تذل الحماة للحصون وهذا من تسمية للشيء باسم محله وفي ذلك كناية عن قدرته

(٢) اي نصر اي نصراً عظيماً جداً . سفح انصبُّ الطعن يراد به هنا الدم من باب تسمية الشيء باسم فاعله . والسفح حضيض الجبل . في ما اورده وقد يفتاح امور جديرة بالاهتمام . اولاً تحديده التخوم بكل ايجاز وتحقيق دلالة على اطلاعه حق الاطلاع على مرافق قومه واملاكهم ثانياً ذكران لاسرائيل الهاً قديراً يحارب معهم ثالثاً انهم ارباب بأس وقد نكلوا بملك عظيم الشان « لصناديده تذلُّ الحصون » رابعاً ان انتقامهم شديد وفي كل كلمة من كلامهم زاجر عن عداوتهم وحاضٌّ على مسالمتهم

بعد حرب باسمرٍ وصقيل فاعلموا ذا ان كنتم تجهلونا
مالكم توردنَ بهتان قيلٍ ابهذا لارضنا تملكونا
ام تثيرون ثائر الاضغانِ (١)

مالكم غير ما حباكم «كموش» من حقول اومن قرى او مهمه
بالذي نلتمُ تعزُّ العروشُ وسناهُ لخصبه لا يُشبهُ
فعن العدل في الورى لاتطيشوا ودعوا سلب ما حبانا يهوه
ان غرس الطغيان مرُّ المجاني (٢)

(١) اصبع الله اي قدرته من باب تسمية الشيء باسم آلته وقد ذكر هذا المجاز في الكتاب المقدس هكذا «فقال العرافون لفرعون هذا اصبع الله» (خر ٨ : ١٩) اي قدرة الله · وقال المخلص «ولكن ان كنتُ باصبع الله اخرج الشياطين» (لو ١٠ : ٢٠) اي بقدرة الله · اورد الخبر قصه · بهتان قيل قول باطل · اثار هاج · اضغان جمع ضغن وهو الحقد · في هذا المقال دفاع باقوى احتجاج وطيه تهديد ووعيد بظهوران بمظهر لطيف بدل على مقصود يفتاح اكمل دلالة

(٢) كموش او مولك او ملكوم هو بعل فغور اله عمون · المهمه البلد القفر · تعز العروش اي الملوك من باب تسمية الشيء باسم محله والمجاني جمع مجنى وهوما يجنى من الثمار

في هذا الكلام نجد يفتاح يعتبر كموش كاحد ذي سلطان وهذا من باب تسمية الشيء باسم ما اطلق عليه وهو نوع من المجاز لم يذكره بيانيو العرب ولكنه ورد في الكتاب المقدس مراراً ففي العهد القديم · يقول حزقيا «ملوك اشور خربوا كل الامم ودفعوا الهتهم الى النار» (أش ٣٧ . ١٨ و١٩) فسمى الاوثان الهة مع معرفته انها غير الهة بدليل قوله «ليسوا الهة بل صنعة ايدي الناس» (أش ٣٧ : ١٠) وكذلك تقول مريم العذراء لولدها الرب يسوع «هوذا ابوك وانا كنا نطلبك» (لو ٢ : ٤٨) مع معرفتها

واذكروا قاهر العدى بالاقا ابن صفور وهو ملك موآبا
كيف ساحت جيوشه الافاقا واذالته مدنها والرقابا
كيف ابدى لاسرئيل وفاقا لم يثر جيشهُ علينا حرابا
فحيينا بالصفو كالاخوان (١)

قد الفنا البقاء في حشبونا وعروعير ثم هذي الجهات
وقضينا بها بأمن سنينا قد انافت على ثلاث مئات
ما ذكرتم انا لكم ظالمونا ومعادون قبل ذي الاوقات
فلمَ الصمت من قديم الزمان (٢)

ايُّ امر قد ارتكبناه جرما كي تعدُّوا صفوفكم للنزال
فلماذا تبغون في الحرب ظلما اعدلوا فهو زينة الابطال
او نرجي رب السماوات حكما ان يجازى الظلوم بالاذلال
بعدما كان مستعزّ الشان (٣)

انها حبلت من الروح القدس · وعبارة سناها كحصبها لا يشبه مفادها انها جميلة السماء صخية الثراء

(١) في هذا الكلام مقصدان الاول بيان ان ملكاً اعظم من ملك بني عمون باساً صافاهم لانه راي ذلك ادعى الى راحته ثانياً ان منهج ذلك الملك اولى بهم ان يتبعوه في الحال

(٢) في هذا المقال دفع لدعوى العمونيين مبني على قاعدة موت الحق بداعي مرور الزمان وهذه المادة لا يزال العمل بها في محاكم الامم حتى الآن · على ان موت الدعوى بمرور الزمان مختلف به باختلاف الاعتبارات ولا مجال هنا لبسط ذلك فانه من ابحاث الفقه · فلمَ اي فلماذا

(٣) تبغون من البغي · اعدلوا فهو اي فالعدل

وفد يفتاح لم يصادفْ نجاحا | والعدوُّ استطال بغياً وكبرا
قائلاً حينما نقيم الصفاحا | حكماً نبلغ المآرب قسرا
فكفاحاً بني منسى كفاحا | فهو خير من ذا المقال واحرى

استعدوا للكر والجولان (١)

شملُ جلعاد كله صار فردا | سامعاً ما يقوله يفتاحُ
أغرموا بالوغى شبوخاً ومردا | كرماح قد ظللتها رماحُ
وتنادوا اما ردًى او مجدا | لا براح يوم الوغى لا براحُ

او تفيضَ الغدرانُ كالغدرانِ (٢)

نحنُ ابناءُ من لهم صدقُ وعدِ | ان يسودوا ويستعزُّوا مقاما
كم أُصيبوا قبلاً بخطب مُردِ | ثم ولَّى عنهم ونالوا السلاما
ورعى الله عهدهم خير عهدِ | اذ دعوه وجانبوا الآثاما

فاذلوا العدى ونالوا الاماني (٣)

---

(١) صادف وجد . الكبر التجبر الصفاح جمع صفح وهو عرض السيف و يسمى السيف كله به . وقسراً قهراً . في هذا البيت بيان لما يجربه الباغي حينما يدافع المعتدى عليه بلسانه الدفاع الحسن فانه يعمد الى القوة لانها في عرفه الحكم الاعلى

(٢) أغرم به احبه . الردى الهلاك . او مجداً اي انتصاراً يولي المجد . الغدران جمع غدير وهو لفظ يطلق عَلَى النهر الصغير وعَلَى السيف عَلَى وجه التشبيه وقد اراد بالغدران اولاً السيوف وهي كلمة مجازية يراد بها الدماء من باب تسمية الشيء باسم سببه واراد بالغدران ثانياً الانهار

(٣) المردي المهلك

ان نصر العلى نصرٌ عجيبُ يرهب الارض من اعالي السماء
أطلبوهُ راجبه ليس يخيبُ ان رجاه بطاهر الاحشاء
واستغيثوا بأيدهِ وانيبوا كي يفوز الابناء كالآباء
بانتصارٍ يوم الكفاح المداني (١)

٥

القتال

• وكان روح الرب علَى يفتاح فعبر جلعاد ومنسى وجاز الى مصفاة جلعاد ومن مصفاة جلعاد عبر الى بني عمون • ونذر يفتاح نذراً الى الرب وقال : ان دفعت بني عمون الى يدي • فكل خارج يخرج من بيتي للقائي حين ايابي سالماً من عند بني عمون يكون للرب اصعده محرقة • وجاز يفتاح الى بني عمون ليحاربهم فسلمهم الرب الى يده • فضربهم من عروعير الى حد منيت عشرين مدينة والى آبل الكروم ضربة عظيمة جداً فذلّ بنو عمون امام بني اسرائيل وعاد يفتاح الى المصفاة الى بيتهِ فاذا ابنتهُ خارجة للقائه بالدفوف والرقص وهي وحيدة له لم يكن له ابن او ابنة سواها • فلما رآها مزّق ثيابه وقال : أوهِ يا بنية قد صرعتني صرعاً وصرت من جملة من اشقاني • لاني ابرزت نذري للرب ولا سبيل الى نكثه • فقالت له يا أبتِ ان كنت قد ابرزت نذرك

(٤) الأيد القوة • واناب تاب

للرب فاصنع بي بحسب ما خرج من فيك بعدما انتقم لك الرب اعدائك بني عمون . ثم قالت لابيها ليصنع معي هذا الامر امهلني شهرين فانطلق واتردد في الجبال وابكي بتوليتي انا واترابي فقال لها اذهبي وفسح لها شهرين »
(قض١١ : ٢٩ — ٣٨)

محتويات القصيدة

اخفاق السفارة السلمية — تنشيط يفتاح قومه — حلفهم على الثبات في الحرب — خطبة يفتاح قبل الحرب — تذكيرهم بتاريخ آبائهم — نذر يفتاح الذي هو موضوع هذه القصائد — الحرب — بأس يفتاح — انتصاره — رجوعه الى الحي وملاقاة ابنته له — له حزنه حينما شاهدها — جواب ابنته له لما ذكر لها نذره

موعظتها

التعرض للعداء مجلبة البلاء — — الظفر لمن صبر — ذكرى الاباء والاجداد تظهر مراحم رب العباد وتهدي في سبيل الاسعاد — من فتح فاه ولم يعد مرمى نظره احزن احشاءه ولو نال منتهى وطره — من استخف بمعاديه اكب على فيه — من يستصرخ الله لا يخيب رجاه — عند الصفو يحدث الكدر — طاعة الآباء والامهات افضل حلية للبنات

لاتستخف برب الغمد منتقما فالسيف سيف وان تثلم مضاربه
ولا تبارز ابا الاشبال محتدما « فالسبع سبع وان كلت مخالبه »
فلن يقيم على وتر ولا ثار(١)

(١) رب الغمد السيف . تثلم تكسرت . وابو الاشبال الاسد . والمخالب الاظفار

جلعادُ أسدٌ وان اوهتهم نُوبُ   تتابعت فاصابت بعض فتيانِ
قد أحرجوا فبدا من بأسهم عجبُ   كأن احشاءهم ازّت بنيرانِ
فما ترى غير صنديد وجبارِ (١)

ان السفارةَ قد خابت رغائبها   والخصم يزداد اطماعاً وآمالا
وشرعة الصبر قد ضاقت مذاهبها   فاستنصروا مرهفاً عضباً وعسالا
وكل منجردٍ كاللاهب الواري (٢)

وجال يفتاح فيهم يستحثهمُ   ان يثبتوا او يموتوا موت ابطالِ
او يبلغوا النصر والصمصام محتكمُ   يزيل هامات اقطاب واقيالِ
قد اغفلوا حرمة الاهلين والجارِ (٣)

فاقسموا انهم لن يرجعوا ابداً   الا اذ غادروا الاعداء في لهبِ

كل سبع · الوتر الانظلام · والشطر الرابع تضمين لصدر بيت مشهور وعجزه « والكلب كلب ولو بين السباع ربي » وفي هذا البيت اشارة الى ان قوم يفتاح لا يستخف بهم وان كان العدو قد اقتحمهم في غيبة يفتاح

(١) اوهاه اضعفه · احرجه ضايقه · ازت اي غلت الصنديد السيد الشجاع · في هذا البيت بيان ان الشدة تولد الشدة اي ان المصيبة توجد باساً

(٢) الشرعة مورد الماء وشرعة الصبر اي الصبر كالشرعة فهو تشبيه بليغ · مذاهبها طرقها وضيق مورد الصبر كناية عن عدم الوصول الى الصبر وبالتالي يراد العدول عن السلم الى الحرب · المرهف العضب السيف القاطع · والعسال الرمح يهتز ليناً · المنجرد الجواد وكان اليهود لا يكثرون من اقتناء الخيل ولكنهم لم يروا استخدامها محرماً · والواري المتقد

(٣) الصمصام السيف الذي لا ينثني · المحتكم الذي قبل التحكيم · الاقيال جمع قيل وهو الرئيس دون الملك · الحرمة ما لا لايحل انتهاكه

ولن يزالوا لساناً واحداً ويداً حتى يتاح لهم مستحسن الارب

وما ينال الاماني غير صبارِ (١)

وقام يفتاح ما بين الصفوف على اعلى يفاع عيون القوم ترمقهُ

مدرَّعاً وبذي الحبات مشتملا ومثل هائل رعدٍ كان منطقهُ

او كالصواعق قد صُبت على دارِ (٢)

يقول يا قوم اني مخلصٌ لكمُ رأياً وسعياً ونصلاً قاطعاً ودما

اني لأُشهد باري الكون ربكمُ اني اكافح حتى افقد النسما

اذا ثبتم لعسال وبتارِ (٣)

يا قوم لا ترهبوا حدَّ السيوف ولا يد المنية ان فازت بأفرادِ

ولتحتسب كل مرء ذائق اجلا شهماً كسته العلى جلباب إسعاد

وذكرهُ المسك يحيي طول ادهارِ (٤)

---

(١) في لهب اي في نار كناية عن قتل الاعادي وارسالهم الى الجحيم · يتاح يهيا هكذا يجزم الرئيس جماعة ليتسنى له النصر وفي قولهم وما ينال الاماني غير صبار بيان انهم كانوا على ثقة من انهم سيلاقون شدة ومتى وطن الانسان نفسه على ملاقاة الشقاء قبل بلوغ الهناء هانت عليه النوائب ولم تزعجه المصائب · ويواصل خوض امواج المعاطب حتى يصل الى ميناء الرغائب

(٢) اليفاع التل · المدرع اللابس الدرع · ذو الحبات سيف خاص وقد جاء في الشعر للسيف مطلقاً من باب تسمية العام باسم الخاص

(٣) هذا مثال لما كان عظماء القواد يجرونه اولاً فيثيرون به حماسة صفوفهم فلا تتزحزح اقدامهم هرباً ولا يحاذرون من اقتحام الاهوال رهباً

(٤) بهذا الكلام وامثاله يحبب القواد الى الجنود ان يبذلوا اجسادهم لحدود السيوف طمعاً بالانتصار

أنا بني اللهِ من آباؤهم وُعِدوا بان يكونوا عداد النجم في الجلدِ
وفردهم وهو في الهيجاء منفردُ يسطو على الجيش ذا عدٍّ وذا عددِ
كما على الشاء يسطو الضيغم الضاري (١)

اليس اباؤنا في مصر قد رزحوا من ثقل ما حملوا من ظلم اضدادِ
واستصرخوا ربَّ اسرائيل فاطرحوا نيراً ثقيلاً ونالوا ارض ميعادِ
كجنة الخلد في غرس وانهارِ (٢)

كم آيةٍ إثر أخرى اشرقت شرقاً تبين ان لحاظ الله ترعانا
فغادرت خصمنا في البحر مختنقا والبستنا من الامجاد اردانا
واثرتنا لعزٍّ خير ايثارِ (٣)

هل تذكرون اريحا حينما سقطت اسوارها للثرى من نفخ ابواقِ

(١) نصب بني الله على التخصيص . والنجم بضم النون جمع نجم بفتحها . والشاء جمع شاة . الضيغم الاسد . الضاري المفترس وذا عد اي صاحب عد والتنكير هنا للتعظيم اي انه عظيم العدد . والعدد بضم العين جمع عدة وهو ما أُعدَّ من السلاح والمال

(٢) رزح سقط عياء . النير اسم آلة يقاد بها الثيران للعمل ويراد بها السيادة من باب تسمية الشيء باسم آلته ومن ذلك قول المخلص «احملوا نيري عليكم» (مت ١١ : ٢٩)

(٣) الشرق الشمس . اللحاظ جمع لحظ وهو باطن العين ويراد به العين كلها . وذكر اللحاظ لله مجاز من باب تسمية الشيء باسم آلته اي عناية الله ترعانا . والاردان جمع ردن وهو اصل الكم والمراد الثوب كله من باب ذكر الجزء وارادة الكل . وفي البيت تلميح الى غرق فرعون ومركباته في بحر سوف (سفر الخروج ١٤ : ٢٨) وهو تنبيه ثالث الى ان الله معهم

وكفُّ آبائنا في اهلها انبسطت   فأكثروا بالمواضي حزَّ اعناقِ

وخصمنا لم تصنهُ شُمُّ اسوارِ (١)

هل تذكرون يد الخلاَّق ساحقةً   خصيمنا ولهيبُ الحرب يتقدُ

قد حاربت معنا الاعداءَ ماحقةً   جيوشهم وهي امثال الحصى تقدُ

ترميهم من سماواتٍ باحجارِ (٢)

فعاهدوا الرب عهد الصادقين على   صدق العبادة في سرٍ وفي علنِ

لن تخلعوا شرعه الدين القويم ولا   تعوجَّ اميالكم عنه الى وثنِ

فتعبدوا الصنم المصنوع لا الباري (٣)

تعاهد القوم ان لا يعبدوا احداً   الا ادوناي قدوس السماواتِ

واستصرخوا يرتجون الغوث والمددا   اذ لا نصير سواه عند ضيقاتِ

تفيض شؤبوب اهوالٍ واضرارِ (٤)

---

(١) كف ابائنا اي انتقام ابائنا تسميته للشيء باسم آلته · والمواضي جمع ماض وهو السيف · وشم جمع اشم وهو المرتفع · هنا يذكر يفتاح كيف حارب الله بين صفوف ابائهم واذلَّ لهم الابطال البواسل وهدم امام اعينهم حصين المعاقل

(٢) في هذ الكلام تلميح الى ما ورد في سفر يشوع (١٠: ١١) وتأميلهم بمثل تلك النصرة السماوية التي لا تقف امامها قوى العالمين وقد جعلها آخر حجة لانها اقوى ما لديه فتدرَّج الاحتجاج شيئاً فشيئاً حتى انتهى الى افضل موضع يحسن الاكتفاء به.

(٣) خلع الدين طرحه ومال عنه · وفي هذا المقال ابان تلميحاً لماذا صرف الله عينه عن الاهتمام بهم فهانوا بعد عزهم وقال ان ذلك كان لاعراضهم عن العبادة الحقيقية

(٤) ادوناي احد اسمائه تعالى وكان اليهود يجلون اسم يهوه عن كتابته والنطق به الا في اعظم المواقف باشد الاحترام فاذا اضطروا الى تسميته عز وجل تلفظوا بكلمة ادوناي

نذر يفتاح

وقال يفتاح نذر للعلي اذا اعادني برداء النصر متشحا
تقديم اول شخص للقاء اتى من آل بيتي شكراناً لما منحا
من ذل خصم ومن اعزاز اقدار (١)

يقرُّ حيث اقرَّ الله خيمتهُ يعنى بتهذيب منذورٍ ومنذوره
يقضي بخدمة هذا الفرض مدته فيحسن السعي في التهذيب للسيره
بوحدةٍ معَ اصوام واسهارِ (٢)

ذا العمرُ محرقة تقديمها جللُ لكنها وعد حقٍ غير مرتجعِ
فأنزل النصر باربي فلا املُ الاَّ بعونك للمستنصر الضرعِ
ولا تسوّدْ علينا شرَّ فجارِ (٣)

ثم انحنوا بخشوعٍ نفحهُ عطرُ وبعد ذلك سار الجيش منتظما
له قلوب بها النيران تستعرُ يستتبع السير في البر الوسيع كما
يسير جارف ليلٍ اثر امطار

لما التقى الجيش بالجيش ذكت نار الوغى بصدورٍ ملؤها حنقُ

(١) هذا اول الكلام في نذر يفتاح . وهو مبسوط كفاية كما ترى في الايات الآتية
(٢) مدته اي حياته بامرها . الوحدة البتولية
(٣) الجلل العظيم . الضرع المتذلل الضعيف . ولا تسوّد اي لا تجعل علينا سادة . في هذا البيت بيان ما يجود به الانسان ليدفع عنه الهوان فان حياة الامن والكرامة تشترى باعز ما تصل اليه الطاقة البشرية حتى تبذل النفس لاجلها

وابرق الابيض المصقول واحتبكت   شم الانابيب يروي ظمأها علق

من الجوانح هطل كمدرار (١)

تساند القوم عمون الألى هزأوا   بمن اتوا حاسبيهم غير اكفاء

كأنما الخصم في يوم الوغى كلأ   وهم يحاكون ناراً ذات اذكاء

فمن رأى كلأ يقوى على النار (٢)

وكاد موقف اسرائيل يعرب عن   شر اندحار عظيم الويل والحرب

فاستصرخوا الرب في ضيق الخناق ومن   رجا المهيمن يوم الروع لم يخب

سؤلاً من الله بل يحظى باوطار (٣)

وخاض بفتاح مثل السهم منطلقا   فلم يكن غير اشلاء واعضاء

---

(١) الكثيف الملتف ولا يكون كذلك الا اذا كان عديداً . والمراد بالجيش الكثيف بنو عمون . ذكت شبت . المراد بالصدور هنا القلوب من باب ذكر الشيء باسم مصاحبه . احتبكت احكمت . الانابيب الرماح تسمية للشيء بما كان عليه ومن امثلته في الكتاب المقدس «اليس هذا (اي يسوع) هو النجار ابن مريم» (مر٦:٣) ويسوع المسيح لم يكن في زمن الكرازة نجاراً بل كان قبل ذلك . والظما العطش . والعلق الدم . والجوانح الاضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر . ومدرار نعت لمحذوف اي سماء مدرار وهي الغزيرة الامطار

(٢) تساند القوم خرجوا تحت رايات عديدة ولا يكون ذلك الا متى تعددت الفرق وكثرت الكتائب . الكلأ العشب

(٣) يعرب يفصح . ضيق الخناق اي في ضيق كضيق الخناق والخناق ما يختنق به من حبل او وتر والسؤل الالتماس . هذا مثال رجحان الكثرة بداءة على القلة فان تصلب الفريق الصغير متشدداً بالله تغيرت الحالة

وبارقٍ مجّ من اطرافه علقا وهمس ليث يحاكي ليث صحراء

تقفوه خيرة اخوان وانصارِ (١)

يا ذلّ عمون قد باتت ذوائبهم تحت العجاج بلا ايدٍ وهاماتِ

من المنية قد فاضت مشاربهم وشارب الموت لا يصحو لاصواتِ

ولا لالحان قيثار ومزمارِ (٢)

ظلوا لسهم المنايا المرتمي هدفا وقد ادار عليهم كأسه العطبُ

وابصروا الصبر يولي جمعهم تلفا فراعهم بأس اسرائيل وانقلبوا

ما بين شلوٍ ومأسور وفرّارِ (٣)

يفتاح اقصى الاعادي عن عروعيرا الى منيت بحد السيف منصورا

وحلّ عامر مدنٍ تزدهي نورا وما عصت قد دعا اياتها بورا

كأنما أُحرقت بالنار والقارِ (٤)

(١) الشلو الجسد من كل شيء جمعه اشلاء · وبارق اي سيف بارق · قفاه تبعه

(٢) يا ذل عمون هذا النداء على وجه التعجب اي ما اذلّ عمون · وذوائب القوم رؤساؤهم · العجاج الغبار · بلا ايد وهامات كناية عن وقوع القتل عليهم · والقيثار والمزمار من آلات الطرب · في هذا الكلام بيان عن وقوع الغلبة على بني عمون · لانه متى ذهبت الذوائب انسحقت الاذناب ودارت عليهم كؤوس المنايا مملوءة بشراب العذاب

(٣) جعل المنايا قوساً فتخيل لها سهماً · الهدف الغرض الذي ترمى اليه السهام · وانزل العطب منزلة الساقي فتخيل له الكأس · في كلمة ظلوا لسهم المنايا بيان لانهم عجزوا عن الهجوم وانكشفت مغامزهم عند الدفاع فالعدو ينشب بهم كما ينشب السهم بالهدف · وراعهم اخافهم ·

(٤) اقصى ابعد · البور الخراب · منيت والاصل بتشديد النون يقال انها هي منية جنوبي حسبان

ومن منبت مقر السادة النجدِ　　الى الكروم مقر الخصب والرغدِ

مدن اناف علَى العشرين بالعددِ　　باتت غنيمة مقدام اخي جلدِ

لاقى العدى بعد اعذارٍ وانذارِ (١)

وعاد للحيّ مسرور الفؤاد بما　　اولاه «يهوه» نصراً عرفه انتشرا

يتلو تسابيح رب العرش مبتسما　　اذا عاد من حومة الهيجاء منتصرا

ودار اعدائه من غير دّيارِ (٢)

لما اتى الحيّ "هب" الحيُّ اجمعهُ　　لملتقاه باجلال وتبجيلِ

يتلو من الشكر لخاطاب مسمعهُ　　ولا نشيد حكى انشاد ترتيلِ

علَى انتصار حباهُ خوض مضمارِ (٣)

كانت مزاهرُ ابكار الحي ابدا　　تشدو اهازيج أُنسٍ فائح العودِ

وكلُّ حسناء تحكي بلبلاً غردا　　اقوالها الدرُّ في مدح الصناديدِ

من حصن باسهم حصن لابكار (٤)

---

(١) النجد جمع نجيد وهو الشجاع . والكروم يريد ابل الكروم وهي ناحية في عبر الاردن مملوءة بكروم العنب . والاعذار الانصاف والانذار التحذير من شر العاقبة . في هذا المقال بيان عن ان اعداء يفتاح كانوا اشداء وان ارضهم ذات جودة وهاتان الدلالتان تبينان مقدار شدة الحرب لان الشجاع لا يسلم دياره بسهولة ولا سيما اذا كانت خصيبة توليه حياة الرغد

(١) الديار الساكن

(١) المضمار الموضع الذي تضمر فيه الخيل ثم استعمل للحومة مطلقاً والمراد بالحومة الحرب من باب تسمية الشيء باسم محله .

(١) المزاهر جمع مزهر وهو آلة طرب . حصن باسهم اي باسهم كحصن . والحصن الثانية

جمع المنارى انجلى بالانس مزدهرا　　　كما تألق في جنح الدجى الزهرُ
ظنّ الليالي صفواً ماحوى كدراً　　　وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ
وكل حالاتنا رهن لاسرارٍ (١)

كانت مقدمة الابكار عذراء　　　تعزى الى فارس الهيجاء يفتاحا
جاءت بقلب حباه البشر لألاء　　　تشاطر الجمع انشاداً وافراحا
والانس يبدل احياناً باكدارٍ (٢)

لا تشكرنّ الليالي فهي ماكرةٌ　　　من ذا يؤمل خيراً عند مكارِ
ولا تثق بولاها فهي غادرةٌ　　　من ذا يصيب رجاء عند غدارِ
يأتي بداجي ظلامٍ بعد انوار (٣)

لما رآها ابوها انهلّ مدمعهُ　　　مثل السحائب وافت تقذف البردا
ومزّق الثوب حتى بان اضلعهُ　　　وقال يارب هب لي الصبر والجلدا
فلا يضيعَ صوابي الفادح الطاري (٤)

بفتح الحاء الحماية

(١)تالق اضاء . والشطر الرابع مأخوذ من قول الشاعر

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت　　　ولم تخف سوء ما يأتي به القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررتَ بها　　　وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ

(٢)تعزى تنسب اي انها ابنته . وشاطر الجمع قاسمه . البشر السرور

(٣)الولاء المودة . الداجي المظلم

(٤)انهل المدمع من باب انهل المطر اي اشتد انصبابه مع صوت . هب لي امنحني
وفي هذا البيت ذكر لعادة قديمة هي تمزيق الثياب لشدة الانفعال

وحيدتي قد تركتِ القلب في ضرمٍ يكادُ يذهبُ مني السمع والبصرا
اني فتحتُ بنذر للعليِّ فمي ولا سبيل الى نكث وان كبرا
الا اذا بتُّ مغلولاً باوزارِ (١)

فجاوبته ابي لا تحتقب اثما واوفي للرب نذراً قد نطقت بهِ
حسبي رايتك منصوراً ومحترما من الآنام بلا ندٍّ ولا شبهِ
فلا تشب مجدك الممدوح بالعارِ (٢)

ماشئت فافعل كفى ان العلي حبا ابي انتصاراً عَلَى الاعداء عمونا
وذلك النصر يحيي ذكره حقباً مضارعاً نشره ورداً ونسرينا
وكل ما طاب من عطرٍ وازهارِ (٣)

يطيب لي طول عهد ضمن خيمة من هو الذي اوجد لاشياء من عدم
اظل اسعى بجد ما منحت زمن عَلَى مداواة ذي جهل وذي سقمِ
اماً رؤوماً بعزم غير خوارِ (٤)

فطاعة الأب في ما كان محمدةً فرض عَلَى ابن وبنت منه قد وردا
ومن عصى في سبيل الخير والدةً او والداً ذاق من رب السما ردى
وبات منتسماً في شمل اشرارِ (٥)

---

(١) المغلول المقيد . الاوزار الآثام
(٢) احتقب اذدخر . الاثم الخطيئة . والند النظير . شاب الشيء مزجه
(٣) حبا منح . حقباً ازمنة . مضارعاً مماثلاً . النسرين ورد ابيض عطري قوي الرائحة
(٤) اعتبر الجهل داء فذكر المداواة لازالته . والرؤوم العطوف
(٥) المحمدة الاثر الحميد

تدان عني إذا أهملت تربيتي   أو لم أسر في صلاح أقوم السبل

فكان شأنك تدبيراً لآخرتي   حتى اؤهل بالايمان والعمل

لأن احلّ بخلد خير أخدار (١)

لا بأس إن ذقت في دار الاذى حزنا   وكان أشهى هناء الخلد يعقبهُ

فالمنتهي منه أما الذي فطنا   فانما خالد الافراح مطلبهُ

فانه فوق تعيين ومقدار (٢)

لولم يكن ذاك ما يرضي الاله لما   رجعت من ساحة الهيجاء منصورا

فكل خائض حرب نذرهُ انما   يعود ملتحفاً بالذام مقهورا

لا يرتضي الله الا نذر ابرار (٣)

النور لم يجتمع مع ظلمة ابدا   والبرّ نورٌ ونذر الشرّ ظلماء

وإذ حويت الاماني في هلاك عدى   انار من برك الممدوح اضواء

فنصر ربك مختصٌ باطهار

عليك روحي إلهي حل قبل انما   جيش الاعادي اتبدي حسن تدبير

---

(١) الاخدار جمع خدر وهو ستر يمد للجارية في ناحية البيت والمراد هنا المسكن الحسن

(٢) دار الاذى هي الدهر الحاضر . يعقبه يجيء بعدهُ

(٣) الذام الذم . هذا القول منطبق على الآية الواردة في المزمور الخامس والستين ونصها «ان كنت تفكرتُ في قلبي ظلماً فلا يستجيب لي الرب» وعلى ما ورد بلسان الاعمى الذي اعطاه يسوع بصراً وهو قوله «نحن نعلم ان الله لا يسمع للخطأة ولكن اذا اتقى احد الله وعمل مشيئته فانه يستجيب لهُ» (يو ٩ : ٣١)

وبعد ذلك هذا النذرُ قد نطقا   به أيُنطق روح الله بالزور
حاشاه حسبي بذا إقناعُ أفكاري

ان كان ربي إتقاني كبش محرقةٍ   لعيشة في جهاد دائم العملِ
فطاعة لقضايا منه مبرمةٍ   ربي عروسي بالأُنسي بذا الاملِ
هذا الذي منه أحوي حسن تذكارِ (١)

لكن إذا شئتَ امهلني إلى أجلِ   أبكي بتوليتي في ظل أغصانِ
أسير فيه واترابي إلى جبلِ   شهرين اخطر في سفح وكثبانِ
إذ سوف أحيا كغصن دون اثمارِ (٢)

اجاب يفتاح مسروراً بما ذكرت   احسنت قولاً كذا فلتحسني العملا
اما مسرّات دنيانا وان وفرت   فانها الطيف ما اسعاه مرتحلا
وانما ثابت من غير تسيارِ

قرّي مكان اقرّ الله خيمته   فالبرُّ يرجو ديار الله مسكنهُ
ومن يحلي بتقوى الله سيرتهُ   مع ذا الجوار يكون الخلد موطنهُ
فحل في غرفاتٍ ذات انوارِ (٣)

مغناك بيت اله الخلق فابتهجي   بدار ربك دار الطهر والقدسِ

---

(١) هذا اشارة الى الامل الوارد في الشطر السابق

(٢) اترابي رفيقاتي

(٣) قرّ بمعنى اقيمي . ويحلي يزين وقوله فحل اصله فيحل وانما جاء بالفعل ماضياً بدل المضارع للتاكيد

وواصلي عملاً في خير منتهجٍ دوماً بعزمٍ يحاكي لامع القبس
وانكري زهو دنيا كلّ انكارِ (١)

اما طوافك بالاجيال فليكنِ فليس ذلك مما يغضب الله ـ ا
سيحي الجبال بظل الانس والأمنِ ومائلي من حوت طوقاً بـ ساها
وبالهديل بروضاتٍ وأسحارِ (٢)

(٦)

بكاء ابنة يفتاح بتوليتها

« فانطلقت هي واترابها وبكت بتوليتها عَلَى الجبال · وكان عند نهاية الشهرين انها رجعت الى بيت ابيها فاتم بها النذر الذي نذره' وهي لم تعرف رجلاً · فصار رسماً بين بني اسرائيل انها في كل حول تمضي بنات اسرائيل وبنحن عَلَى ابنة يفتاح الجلعادي اربعة ايام في السنة » [قض ١١ : ٣٨—٤٠]

محتويات الموشح

الربى وبهجة العيش فيها — ابنة يفتاح واترابها جائلات في الربى — شكوى ابنة يفتاح حالتها — جمال الحياة البيتة — صوت الضمير — جمال حياة

(١) مغناك اي مسكنك · والقبس النور

(٢) مائلي كوني مثل · حوت طوقاً اي الحمامة المطوقة · الهديل الترنم اللطيف من الطائر

الانقطاع الى الله -- كيف قضت ابنة يفتاح بقية حياتها — نواح بنات اسرائيل اربعة ايام كل سنة علَى ابنة يفتاح

موعظة

المناه في عيشة الخلاء — الزواج باعث الابتهاج بما ينجم عنه من النتاج — اشرف الاعمال العناية بالمحتاجين وتربية الاطفال — التفرغ لمبرور الاعمال خير من الاهتمام بالزواج والتماس الانسال (١) — من قضى حميد السيرة نقي السريرة نال السعادة في الدار الاخيرة

في الربى يا بارك الله الربى ترشف النفس ُ كؤوس الأُنس ِ
ترقص الاغصان ُ من نفح الصبا كعذارى رقصت في عُرس ِ (٢)

دور

وبه الادواح فاحت ارجا جملت عاطره ُ رسل ُ النسيم
وشوادي الطير تروي هزجا اطرب الاكباد باللحن الرخيم
كيفما سار الفتى او نهجا في الثنايا شاقه مسرح ريم
يحسب الازهار تتلو مرحبا ايها القالي ديار السجس ِ
ذق من البهجة حظاً طيبا لم تذقهُ قطُّ بين الأنس ِ (٣)

دور

(١) جمع نسل

(٢) الكؤوس جمع كاس والمراد الخمر من باب تسمية الشيء باسم محله · وفي العبارة تشبيه اسي الانس كالخمر · والصبا الريح اللطيفة

(٣) الارج الرائحة الرخيم اللطيف الناعم · نهج سلك · والثنايا جمع ثنية وهي الجبل او العقبة · الريم الغزال · القالي الهاجر · السجس الكدر · وديار السجس كناية عن محال اجتماع الناس · الانس الجماعات

رب فجرٍ واقد قد فُتحت ... عينه كيما يرى وجه الصباح
فرأى آرام إنسٍ سرحت ... بين هاتيك الروابي والبطاح
ترسل الدمع سحاباً سفحت ... فسقت ورد خدودٍ واقاح
ان ذا الدمع خطيب عربا ... عن تباريح فؤادٍ يئسِ
رام يجلو في الروابي الكربا ... قبل ان ينشقّ ثوب الغلسِ (١)

دور

بين هاتيك العذارى كاعبُ ... زانها لطف وحسن وأدب
لفظها في السمع ذوب ذائبُ ... بمعانٍ كالاماني او احب
دابها من ضيم دهر رتبُ ... ثار في طي حشاها فالتهب
فهي تتلو آه من دهرٍ ابى ... لي الأ ذوق من الأكؤسِ
قبل ان اقطف ثمار الصبى ... بتُّ احكي من ثوت في مرمسِ (٢)

دور

يا سماء الله ذاتَ الجلدِ ... ارمقيني لحظةً قبل الوداع
شدّدي عزمي وقوّي جلدي ... لمصابٍ حمله لا يستطاع

---

(١) خطيب عرب افصح · الاقاحي نبات له زهر ابيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء واوراق زهره مفلجة صغيرة · الكرب جمع كربة اي الحزن ثوب الغلس اي الغلس كالثوب

(٢) الكاعب من الجواري من بلغت الربيع الخامس عشر الذوب العسل · المرمس القبر · هكذا تكون كل فتاة لا تستطيع ان تخدم الجنس البشري في ايام الشبيبة فهي ميتة الحياة الجوهرية عائشة بالظواهر الخارجية التي هي طعام ومنام دون عمل يستوجب الاكرام

ليس لي من املٍ او مددِ كل شيءٍ غير عون الله ضاعْ
نور سعدي حينما لاح خبا واحتوتني ظلمات الخندسِ
والصفا أمعن عني هربا وجفاني كلُّ حظ مؤنسِ (١)

دور

يا ازاهير الحمى هل نفحةٌ تُنعش الروح ريّاً عاطرهْ
ارحميني انا ايضاً زهرةٌ فوق غصن للحياة الطاهرهْ
اذبلتني قبل يومي نكبةٌ حرها يشبه شمس الهاجرهْ
آه هل من زهرة فاحت كبى صليت شمساً ذكت لم تبسِ
فاراني مثلها حظاً كبا وتولتني يدُ المختلسِ (٢)

دور

يا ظباءً سارحت في النقا وطيوراً صادحات في الغصونْ
وسيوفاً بارقاتٍ كالضيا وقناً تهتزُّ من لين المتونْ
ونسيمات عطيرات الشذا ونجوماً لامعات في الدجونْ
اندبيني حق لي ان أُندبا كل ذا شبهي وما من لبسِ
يندب الخدنُ خديناً نكبا يصرف العمر وما من ملبسِ (٣)

---

(١) خبا انطفأ · الخندس الليل · وامعن بعد

(٢) الريا الريح الطيبة · الكبى جمع كباء وهو البخور · كبا عثر

(٣) الدجون الظلام · القنا الرماح · المتن ما بين الطرفين · اللبس الاشكال اي ان الظباء تشبهها بالعنق والطيور بالصوت والنسيم باللطف والنجوم بالبهاء والسيوف بجمال عينيها والرماح بلين قوامها · الخدن والخدين الصاحب · الملبس المستمتع يقال ما في ذلك ملبس اي ما يلتذ به

دور

يا رفيقاتي لعذراويتي — لي حزن ثابت حتى المماتْ

يا لسوء الحظ هل من نكبةٍ — مثل حرماني البنينَ والبناتْ

سوف اقضي عمري في غصةٍ — لاحترامي النسل اشهى الثمراتْ

اسفاهُ اندبنَ عمري المتعبا — ممطرات درراً من نرجسٍ

واذا مدَّ ظلامٌ طنبا — فاندبي لي يا جواري الخنسِ (١)

دور

آه ما احلى غلاماً يافعا — وغلاماً دارجاً او في السرير

وفتى مائل بدراً طالعا — وفتى قد ماثل الظبي الغريرْ

وقريناً لافظاً او سامعا — كلماتٍ نفحها نفح العبيرْ

معه الزوجة نالت أرباً — بحياةٍ نزهت عن دنسِ

تجتني من انس عيش ضرباً — وتباهي بالنصيب الانفسِ (٢)

دور

واذا صوتُ ضمير هتفا — يا فتاةُ اطرحي هذا الكلاما

ان خير الناس شخص وقفا — نفسه حبساً لتهذيب اليتامى

---

(١) الغصة الحزن والهم . واحترامي النسل حرماني البنين . الدرر هنا الدمع . والنرجس العيون . والجواري النجوم . والخنس ما سوى النيرين (الشمس والقمر) من السيارات والاضافة كاضافة روح القدس اي المنعوت الى النعت

(٢) اليافع من الفتيان من بلغ الربيع العشرين . الدارج من دب ونما . الغرير الجميل . الضرب العسل . هكذا نرى المرأة تترنم بالبنين الذكور ولا تخطر في بالها البنات

وقضى ايامه منصرفا نحو اسعاد الفقيرات الايامى
يسمع الموجع لفظاً عذبا ذوقهُ يبرئ داء النقرس
وانا آنس مرأى وصبا انزل الاوصاب عنه فنسي (١)

دور

اصرفي عمرك في صنع الحسن فهو خير من زواج وبنين
وارفعي الكربة عمن في شجن فهو تمجيد لرب العالمين
هذبي الطفل بارشاد الفطن تجتني من ذاك حظ المصلحين
فاذا ما اخترت هذا مأربا طبت تذكاراً فلا تجتشي
وتجليت بمجد كوكبا لائحاً في افق طهر اقدس (٢)

دور

سمعت غادتنا صوت الضمير واستقرت في حمى الرب القدير
واكبت تخدم الطفل الصغير وحباها فاض كالماء النمير
اظهرت كل حنان للفقير فشذاها فاح اذكى من عبير
تخذت بر الايادي مطلبا في سحابات الضحى والغبس
لم تحد عن ذي المآتي مذهبا ابداً حتى خمود النفس (٣)

---

(١) الحبس ما وقف في سبيل الله · اسعاد الفقيرات اعانتهن · الايامى جمع ايم وهي من لا زوج لها بكراً او ثيباً · النقرس ورم ووجع في مفاصل الكعبين واصابع الرجلين آنس لاطف · الوصب المتألم · الاوصاب الآلام

(٢) اصرفي انفقي · الشجن الحزن · اجتشى اقتطف ابتأس تأسف

(٣) الغادة الصبية النمير العذب من الماء · الغبس الظلام · خمود النفس كناية عن

دور

ايها الجسم الذي حلَّ الثرى بعد ما ان عاش جندي الصلاحْ
شاهراً من صدق عزمٍ ابتراً جاعلاً اوقاته دار كفاحْ
نم هنيئاً سوف تحوي الوطرا في نعيم الله لا دار البراحْ
حيث ذراً الله يجلو الغيهبا والهنا كالعارض المنبجسِ
وجمال الله ضاءت شهباً وجلال الله اشهى ملبسِ (١)

دور

ما جرى من بنت يفتاح الهمامْ من مسير في الروابي والاكامْ
تخذته عادةً في كل عامْ كل بكر وجهها البدر التمامْ
نائحات مثل اسراب الحمامْ نصف اسبوع كذكرى للدوامْ
مكرمات ذكرها المكتسبا كل برٍّ فيه مجدُ الاوُّسِ
مادحات طهرها المحتجبا كمثال لاطراح الرجس (٢)

الموت « هذه مجمل حياة تلك البتول التي هي قدوة لكل نسمة نذرت التبتل لخدمة الله

(١) اشهر السيف سله • الابتر السيف • الوطر المشتهى • الغيهب الليل • العارض السحاب • المنبجس المنفجر

(٢) اسراب جمع سرب وهو القطيع من الظباء والنساء والطير • نصف اسبوع اي اربعة ايام والرجس ما ليس طاهراً كالدنس وزناً ومعنى

ان ذكر بنت يفتاح دائماً دليل على احسانها التصرف وذهابها من دار الفناء مزودة بكل مبرة حسنة وهذا خير ختام نسأل الله ان ينيل لجميع متقيه لاحتياز السعادة الابدية بين مصف مختار به وملائكته المنشدين على الدوام ترانيم الابتهاج للعزة الصمدانية آمين اللهم آمين

طول الحياة وقصرها

تفضيل قصر الحياة

اراني مشوقاً بطول الحياة ... وطول الحياة يوالي الهموما (١)

فيعرو لطيف المزاج انحراف ... فاغدو معافى وامسي سقيما

وفي سقمي اسأم العيش مما ... باعراض دائي يوافي اليما

وفي صحتي تعتريني شؤون ... تحمل قلبيَ هماً جسيما

اغشُ واغتشُ دون انقطاع ... فطوراً ظلوما وطوراً ظليما (٢)

وتختلف الواردات عليَّ ... فآنا ثرياً وانا عديما (٣)

فآن ثرائي اعلو متون ... جيادملاه تعاف الشكيما (٤)

تغادرني في فيافي الغواية ... جسماً هشيماً وفكراً عقيما (٥)

وآن افتقاري ارى الحلو مراً ... فاعتب صرف الزمان الظلوما

وأُطلق من منطقي كلمات ... تزيد كلوم الحياة كلوما

ولا بد لي من خليل فطوراً ... يكون جهولاً وطوراً حكيما

فاما الجهول فآخذ عنه ... تصرُّف سوء ومبدأً ذميما

واما الحكيم فأُحرجهُ ... فيمسي لحبل ولائي صروما (٧)

وكم من عدوٍّ علَى رغم رفقي ... يهيل علي الاذى مستديما (٨)

(١) المشوق المولع (٢) اي تارة ظالماً وتارة مظلوماً (٣) الثري صاحب الثروة والعديم المعوز (٤) الشكيم اللجام ومتون خيل الملاهي كناية عن اضاعة المال والوقت على غير طائل (٥) الفيافي الارض القفراء (٦) الكلوم الجراح (٧) حرجه اذا اخرجه عن دائرة الرضى . والصروم القاطع (٨) يهيل يصب

فاجزيه من جنس اعمـالهِ وأُبدي صنيعيَ فظاً غشوما

واما نسيم صبا منطقي فمن لافحِ الغيظ يمسي سموما

وشهب الدماثة من افق خلقي تبيت علَى الشنآن رجوما (١)

وما بهجاتُ الحياة وهنَّ كطيف رقادٍ ابى ان يقيما (٢)

وما جاء عنهنَّ وزراً يدوم الى ابد الدهر يحكي الظلوما (٣)

وصاحبهُ ان يحاسب عليهِ بغير سماح يحلُّ الجحيما

فما اشتهي ان افوز به قصير حياة نقيٌّ اديما (٤)

تفضيل طول العمر

بهذا تناجيتُ في داخلي فأُسمعتُ صوت ضمير رخيما (٥)

رويدك غادر مباءة بطل فما برح البطل مرعى وخيما (٦)

وأذكِ سراج الفطانة واسلك علَى نور هدي سبيلاً قويما

تجد كل ما في الحياة يذلُ كبار العقول رجاء مروما (٧)

فتطلب طول الحياة لتحصـــد من ذلك الطول خيراً عميما

نعم انت طوراً بثوب الضنى تعاني تباريح تؤذي الجسوما (٨)

تذيب الأَضالع الا قليلاً وتترك من تعتريهم رسوما

(١ الشنآن البغضاء المقترنة بعداوة (٢) ما بهجات الى اخر الجملة هـذه جملة استفهام لا نفي (٣) الوزر الاثم · والظلوم الجبال جمع ظلم بفتح الاول والثاني (٤) الاديم الجلد ويقال فلان صحيح الاديم اي صحيح الاصل ونقي الاديم اي نقي السيرة (٥) تناجيتُ اي تحدثتُ في سري والرخيم من الاصوات السهل (٦) غادر اترك مباءة · مكان والوخيم الرديء (٧) المروم المراد (٨) التباريح الشدة وهي جمع تبريح

فأعددْ لها شكة الصبر تربح بحسن التصبر اجراً كريما (١)
وغاية كل اتجار رباح فمن ناله ضاء وجهاً وسيما (٢)
سواء جناه الفتى في الفراش ضعيف القوى او معافى سليما
وكيف تغش اخاك وتعلـــم ذلك وزراً يغيظ العليما (٣)
اتطلب سحتاً حراماً وربـــك سن لذاك الحرام حريما (٤)
ومن اكل السحت لم ينتفع بنعمى فيجني عليه الغموما
وقد وسع الله رزق الحلال وصير منهجهُ مستقيما
فحباً بنفسك سر في سواه ولا تتخذ ذا الجلال خصيما
وان غشك الاخ عقب اجتهاد ك لا تأس من ذاك لست ملوما (٥)
وسامحه فالله يحبوك من مواهبه غيث فضل رذوما (٦)
وعمله ان السماح دليل على انس خلق يطيب نسيما
وكيف تعد الغنى مهلكاً وبالمال شادوا المعالي قديما
فتقري الضيوف بكف ندي وتعضد ارملة ويتيما
وتبني الملاجئ للعاجزين وتنشر للطالبين العلوما (٧)
وتطلع في افق المكرمات جليل المآتي تحاكي النجوما

---

(١) اعدها . الشكة السلاح (٢) الوسيم الجميل (٣) تعلم ذلك اي تعلم ان الغش والعليم من اسمائه عز وجلّ (٤) السحت الممنوع والحريم هنا المنع اي ان الله منع ذلك فكيف تطلبه (٥) لا تأس اي لا تحزن (٦) الرذوم السائل (٧) اراد بالعاجزين والطالبين كل عاجز وطالب ذكراً وانثى من باب التغليب وهذا الشأن مشهور ومنه الوصايا العشر كقوله لا تقتل واكرم اباك وامك فان الخطاب للمذكر ولكنه يشمل كل ذكر وانثى على السواء

ومن انفق المال في وجهه ... هنيئاً له راحلاً او مقيما (١)

ففي دار غربته حسبه ... يرى في ابتهاج الفؤاد نديما (٢)

وفي دار موطنه الابدي ... يجاور رباً كريماً رحيما

وان كنت ذا عوز وانتقيتَ ... سبيل القناعة كنت فهيما

فترضى بما منح الله رزقاً ... وتبدي لذلك شكراً عظيما

وتختار كنز القناعة قولاً ... وفعلاً فتلفى نقياً رقيما (٣)

بذلك يغدو لك المرتُحلوا ... ويضحي ماينوب عديما (٤)

واما الخليل فأختاره ... صفياً وفياً جليلاً حليما

اكون له حيث شاء كالا ... ومسعى نبيلاً ورأياً حزيما

ارى ما يراه واعفو خطاه ... وعما يجافيه ابدي وجوما (٥)

فتصبح بهجته القرب مني ... ولست اراه اقربي سؤوما (٦)

واما الجهول فاني اريه ... لشخص الجهالة وجهاً دميما (٧)

وانفث في صدره للكمال ... غراماً لسبل الضلال غريما

وتمطر روضة احشائه ... سحائب نصحي غيثاً سجوما

فيدنوا الى عمل البر شاةً ... وينفر من سيئات ظليما (٨)

---

(١) انفق المال في وجهه اي في وجه انفاقه المشروع (٢) دار غربته اي هذا الدهر الحاضر · حسبه كفاه (٣) الرقيم الكتاب والذي كتابه نقي هو من سلمت سيرته من الشوائب (٤) المنى الرغائب والعديم المصاب (٥) الوجوم السكوت والمراد الامتناع (٦) السؤوم الملول (٧) الدميم القبيح (٨) الشاة مضرب المثل بسهولة الانقياد والظليم ذكر النعام وهو مثل بامتناع الانقياد والنفرة

فاناً تراه له بأس ليث … وانا تراه من الخوف ريما (١)
واما العدو فما لي عدو … لاني ابيت لكل حميما (٢)
فمن يتبع البر يعجم قناتي … بفهم فيحمد ذاك العجوما (٣)
ومن يبتغ الشر اذبحه ذبحاً … بسيف اناة يبيد الخصوما
فروح الخصام قوي ولكن … بروح المسيح يولي هزيما (٤)
نظير الظلام اذا ما طما … يفل الهضاب ويغشى الحزوما (٥)
وروح المسيح اشمة شمس … تنير فتجلي الظلام البهيما (٦)
ولي بهجات الحياة سلام … وبر يداوي الفؤاد الكليما (٧)
ولطف يفيض كشهد ومسعى … كريم غصوناً حميد أروما (٨)
فطول الحياة عزيز علي … لا ذخر اجرا ينيل النعيما
وفي معلن الله وافى ثواباً … لمن اكرم الوالدين اقيما (٩)
واكرام من طال عمرهم … لقد كان امرا شهيرا قديما (١٠)
وطول الحياة يرجى لتقوى … ومسرى يخلد مجداً صميما

(١) اي فهو عمل الخير شجاع كالاسد وفي الخوف من السيئات متهيب كالغزال (٢) الحميم الصديق (٣) عجم قناته اي اختبره والعجوم مصدر ذلك الفعل (٤) الهزيم المهزوم (٥) الحزم الغليظ من الارض والمرتفع (٦) تجلي هنا بمعنى تزيل (٧) الكليم المجروح (٨) الاروم اصل الشجرة وقد شبه المسعى بالشجرة فذكر الغصون والاروم (٩) اشارة الى الوصية الالهية اكرم اباك وامك لكي تطول على الارض الايام التي يعطيك اياها الرب الهك (١٠) نظير اكرام فرعون يوسف اسرائيل ابا الاسباط لتقدمه في الايام ومن هذا القبيل ما اجراه جلالة سلطاننا محمد الخامس المعظم لجناب العلامة الشيخ عبد الرزاق البيطار حينما ذهب في رأس الوفد الدمشقي لتهنئة جلالته بجلوسه على عرش آبائه فانه قام لملاقاته ثم بيده احتراماً لشيخوخته

واما لأكل وشرب ونوم — فهذي حياة تزيد الجروما (١)

فمن هذه مشتهى قلبهِ — جدير به ان يكون رميما (٢)

ومن يعبدالله كل الشؤون — لديه سلاح يذلّ الرجيما (٣)

نظير الطبيب يرينا الدواء الـ — ـمفيد الذي كان قبلًا سموما

وقلبي ملاكي وعنه شقائي — وعنه امتلاكي الخلاص الكريما (٤)

فان فاض طهرًا اكون طهورًا — وان فاض اثمًا اكون اثيما

فيا رب انزل بقلبي اماني — تخبّ الى المكرمات رسيما (٥)

وصيّر فعالي مصداق قولي — فاشكر مسعى واكرم خيما (٦)

وما خاب يا رب راجيك ان — يكون لما ترتضيه خديما (٧)

(١) الجروم جمع جرم وهو الذنب (٢) الاشارة في هذه الى الاكل والشرب والنوم الواردة في البيت السابق والرميم البالي من العظام اي جدير به ان يكون عظماً بالياً لا انساناً حياً (٣) السلاح آلة الحرب او حديدتها او كل ما دفع به العدوّ من سيف ورمح وغير ذلك يذكر ويؤنث (٤) الملاك بكسر الاول قوام الشيء . (٥) الرسيم نوع من الركض (٦) الخيم السجية (٧) الخادم



